صنعاء في كتابات الرحالة الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي

أ.م.د.عبدالرحمن أحمد المختار

أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك بكلية التربية والعلوم والآداب – جامعة عمران

د.محمد عبد الله المعلمي

استاذ التاريخ الاسلامي المساعد وحضارته بكلية التربية والعلوم والآداب – جامعة عمران

الملخص

لقد حظيت صنعاء باهتمام بالغ عبر مختلف العصور التاريخية قدي م ا وحديث ا، حيث كانت مقص د ا للكثير من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين وغيرهم من العلماء، ممن سجلوا مشاهدات هم الميدانية واليومية عنها وعن أحوالها ومجتمعها في كتبهم، أمثال الرحالة الإدريسي وابن حوقل والاصطخري وابن بطوطة، وفي التاريخ الحديث والمعاصر دخل صنعاء عدد من الرحالة الغربيين، لعل أبرزهم الرحالة الدنماركي كارستن نيبور في القرن الثامن عشر، والرحالة الإيطالي رينزو مانزوني في القرن التاسع عشر وغيرهم كُثر، ومن هذا المنطلق كان اختياري هذا البحث بعنوان)صنعاء في كتابات الرحالة الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي(، والذي سوف يركز على المحاور التالية:

- مدخل)الأوضاع السياسية في صنعاء في القرن الثالث عشر الهجري(.
- المشاهدات العمرانية إضافة إلى الشوارع والبساتين والحدائق والغابات.
- المشاهدات الاجتماعية) الزواج – الأسرة – الأطعمة والألبسة – الأعياد - الطبقات الاجتماعية (.
- المشاهدات الاقتصادية) الزراعة – التجارة – الصناعة – الأسواق(.
- الإدارة والحكم – الصراع القبلي.
- الحياة العلمية والدينية (المدارس – المساجد – الكتاتيب – المخطوطات) .

3

Sana'a in the Writings of Western Globe-Trotters in 3rd Century AH/ 19th Century CE

1. Dr. Abdurrahman Ahmed Elmukhtar
Associate Professor of Islamic History & Civilization, Faculty of Education, Science, and Arts, Amran University
2. Dr. Mohammed Abdullah Elmu'alimi
Assistant Professor of Islamic History & Civilization, Faculty of Education, Science, and Arts, Amran University

Abstract :

Sana'a has received significant attention throughout various historical periods, both ancient and modern. It has been a destination for many travelers, geographers, historians, and other scholars who recorded their field observations and daily experiences about the city and its conditions in their books. Notable examples include the travelers Al-Idrisi, Ibn Hawqal, Al-Ashtarki, and Ibn Battuta. In modern history, several Western travelers visited Sana'a, including the Danish traveler Carsten Niebuhr in the 18th century and the Italian traveler Renzo Manzoni in the 19th century, among many others.

Based on this background, the focus of my research is on the topic: Yemen in the Writings of Western Travelers in the 13th Century AH / 19th Century AD. The research will address the following aspects:

- Introduction: Political conditions in Sana'a in the 13th century AH.
- Urban observations, including streets, gardens, orchards, and forests.
- Social observations, such as social customs, marriage, family, food, clothing, and social classes.
- Economic observations, including agriculture, trade, industry, and markets.
- Administration and governance, tribal conflicts.
- Scientific and religious life, including schools, mosques, religious schools, and manuscripts.

المقدمة:

نالت مدينة صنعاء اهتمام بالغ عبر مختلف العصور التاريخية قديماً أو في العصر الإسلامي، ثم في العصر الحديث ، حيث كانت مقصداً للكثير من الرحالة والجغرافيين والعلماء المؤرخين وغيرهم ممن سجلوا مشاهداتهم وكتاباتهم عنها وعن أحوالها وسكانها وشوارعها ومساجدها وقصورها ومنازلها وبساتينها ..... الخ، مما جعل الكثير منهم يفتتن بحسن جمالها، ومن أمثال هؤلاء الرحالة المقدسي والإدريسي وابن حوقل والاصطخري وابن خرداذابة وابن بطوطة وياقوت الحموي وغيرهم كثير، ويكاد معظم هؤلاء يجمعون بأن صنعاء قد تميزت عن كثير من المدن بميزات قلما توجد في غيرها، فهي من " أقدم مدن الأرض لان سام بن نوح الذي أسسها " [١] ، وكانت تسمى قديماً أزال[٢]، " وليس باليمن ولا تهامة ولا بالحجاز مدينة أعظم منها، ولا أكثر أهلاً، ولا خيراً، ولا أشرف أصلاً، ولا أطيب طعاماً منها[٣]، وهي " مدينة كبيرة حسنة العمارة، كثيرة الأشجار والفواكه والزرع، بناؤها بالجص والآجر، معتدلة الهواء، طيبة الماء[٤]، فهي " تشبه مدينة دمشق بكثرة فواكهها وتدفق مياها" [٥] ويشق صنعاء واديها السرار[٦]، يجري إذا جاء المطر في شهور الصيف ويصب في سيوان[٧]، فيكون كأنها بحيرة[٨]

١ – الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد(توفي بعد سنة ٣٦٠ هـ)، صفة جزيرة العرب، ص١٠٢، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، ط٣، ١٩٨٣م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء .

٢ – الرازي، أبو العباس أحمد بن عبد الله(ت: ٤٦٠هـ)،تاريخ مدينة صنعاء، ص٨٠، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ط٢، ١٩٨٩، دار الفكر، دمشق.

٣ – ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر(ت: نحو ٣٠٠هـ) الاعلاق النفيسة، ص١٠٥، ليدن، نشد دي غوي، ١٨٩٣م .

٤ – ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد عبد الله الطنجي(ت: ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار،ج١، ص٢٥٩، تحقيق: الشيخ عبد المنعم العريان، ط١، ١٩٨٧م، دار صادر، بيروت، لبنان .

٥ –ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله(ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان،ج٣، ص٤٢٦، دار صادر، بيروت، لبنان .

٦ – وادي السرار الذي يجري وسط صنعاء ويقسمها نصفين، ويعرف اليوم بالسائلة .

٧ – سيوان هي سعوان وهي من الحارات الكبيرة اليوم ،

٨ – ابن خرداذابة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله(ت: ٢٨٠هـ)، المسالك والممالك، ص١٣٦، ليدن، بريل، ١٨٨٩م، دار صادر، بيروت، لبنان.

، وعلى العموم فقد كان بها بساتين كثيرة، وفواكه متعددة مثل التين والرمان والخوخ والأعناب، ومن أنواع الزهور والورد والريحان ، وأجناس من الطير، وكان بها في كل منزل بئر او أثنين، وبستان فيه من سائر المشمومات والفواكه[١]، وكان بها من العجائب قصر غمدان " أسسه أزال بن قحطان بأمر من أخيه يعرب بناه عشرين طبقة، بعشرين سقف، بين كل سقف عشرين ذراع، وجعل فيه مائة مسكن – تقريباً غرفة – وكان أعلى غرفة ممرداً بالزجاج " [٢]، وقيل كان سقف أعلى غرفة رخامة واحدة، وكان من يستلقي في هذه الغرفة يرى طيور السماء إذا مرت تحت تلك الرخامة[٣] ويذكر لنا ابن المجاور الذي زار صنعاء في الثلث الأخير من القرن السابع الهجري بأن صنعاء كان لها سبعة أبواب[٤]، ويذكر لنا الرازي أن صنعاء كان حولها عدد كبير من القرى، تبلغ مسافة بعضها نصف يوم، والبعض أكثر من نصف يوم، أي امتداد هذه القرى، والبعض على مسافة يوم كامل[٥] .

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث فسوف نجد من الرحالة الغربيين الذين زاروا اليمن عموماً وصنعاء خصوصاً، وسجلوا بعض مشاهداتهم عنها، ويأتي في مقدمتهم الرحالة الايطالي ليودو فيكودي فارتيما، الذي وصل إلى صنعاء في نهاية القرن التاسع الهجري وبداية القرن السادس عشر الميلادي، وإن كان البعض يشكك في وصوله إلى هذه المدن اليمنية، كونه كان يناقض

---

١ – الرازي، تاريخ صنعاء ، ص١٤٦ .

٢ – ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن علي بن محمد(ت:٩٤٤هـ)، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، ص٨٥، تحقيق: أحمد راتب عموش، ط١، ١٩٩٢م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

٣ – الرازي، تاريخ صنعاء ، ص٨٠ .

٤ – هذه السبعة الأبواب التي ذكرها ابن المجاور هي باب غمدان، وباب دمشق، وباب الشيخة ولعله باب السبحة الذي يعرف اليوم باب السباح، وباب خندق الأعلى وباب خندق الأسفل، وباب النصر، وباب شرعة "،{ ابن المجاور، أبو الفرج نجم الدين يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي(ت٦٩٠هـ)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، ص٢٠٨، ٢٠٩، مراجعة وتحقيق: ممدوح حسن محمد، ١٩٩٦م، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة }.

٥ – ويذكر لنا الرازي أن عدد هذه القرى المحيطة بصنعاء عشرة آلاف قرية من جوانبها الأربعة، من الشرق والغرب ومن الشمال والجنوب، وهذا عدد مبالغ فيه، إلا أنه يدل على كثرة القرى التي حولها{ الرازي، تاريخ صنعاء، ص١٤٧ }.

نفسه بنفسه، وربما كان السبب تسجيله لهذه المشاهدات بعد رجوعه إلى موطنه، ومن ثم نسيانه لبعض تفاصيل رحلته، يصف الرحالة الايطالي فارتيما صنعاء بأنها تقع على قمة جبل عظيم، وأن عدد منازلها يبلغ ٤٠٠٠ ألاف منزل، وهي منازل جميلة، وبها فواكه كثيرة، مثلما في بلاده، وأن بساتينها جميلة، وان أعنابها طيبة، وإما أسوار المدينة فيذكر بأنها من الطين السميك جداً بحيث يمكن لعدد ثمانية من الخيول أن تسير فوقها جنباً إلى جنب [١]، وبعد هذه الرحلة وفي بداية القرن التاسع عشر وتحديداً في سنة ١٧١١م زار اليمن البحارة الفرنسيون من تجار سان مالو الفرنسية وكان ذلك في عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب، وقد قام أفراد هذه البعثة من البحارة بعقد معاهدات لتجارة البن مع حاكم المخا، وكان وصولهم قبل ذلك إلى عدن، وبعد إقامتهم في المخأ بمدة تقارب شهرين، انطلقوا إلى بيت الفقيه، ومن ثم إلى مدينة المواهب عاصمة المهدي صاحب المواهب[٢] ، حيث استمروا ضيوفاً لديه لمدة ثلاثة أسابيع، وبما أن هؤلاء البحارة لم يتمكن أي واحد منهم من الوصول إلى صنعاء إلا أنهم على ما يبدوا كانوا قد حصلوا على بعض المعلومات عنها، بحيث أوضح أحدهم أهمية صنعاء، وأنها من أهم المدن في المملكة اليمنية، وأنها كانت عاصمة العربية السعيدة قبل الإسلام، كما يتحدث عن كثرة بساتينها وينابيعها[٣] وفي العقد السابع من القرن الثامن عشر وصل إلى صنعاء

---

١ – مجهول، كتاب في رحالات الغربيين إلى بلاد اليمن(دراسات ومختارات)، ص١١٣، جمع وتحقيق: أ.د حميد العواضي، ود عبد الغني الحاجي، ترجمة: منير عربش، ط١، ٢٠٢٢م، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم، صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء .

٢– لاروك، جان دي، أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة(١٧٠٨– ١٧١٠م و ١٧١١–١٧١٣م) ص٣٤، ٥٧، ٦٢، ١٢٨، ١٣٥ ترجمة: منير عربش، المعهد الفرنسي للاثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، والمواهب هي المدينة التي اختطها وقام بعمارتها المهدي محمد بن أحمد وذلك على بعد عشرين كم تقريبا من مدينة ذمار– ومن ثم لقب باسم هذا المدينة صاحب المواهب .

٣ – كما يتحدث عن سور المدينة وأنه سميك مثلما تحدث عنه سابقه فارثيما من أنه يمكن لعدد ثمانية جياد تسير فوق سورها جنباً إلى جنب، وأعتقد أن ذلك مبالغاً فيه جداً، كون الفرس الواحد يسير على متر واحد، ومن ثم يمكن أن يكون سمك السور ثمانية – إلى تسعة أمتار، {جان دي لاروك، أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة، ص١٥٤ } .

الرحالة الألماني كارستن نيبور وذلك في العام ١٧٦٣م، ضمن البعثة العلمية القادمة من الدنمارك والتي كان قوامها ستة أفراد، ولم يتبق منهم حين وصولهم صنعاء سوى أربعة أفراد[١] ، ولقد وصف نيبور صنعاء وصفاً عاماً مع ذكره لبعض التفاصيل الدقيقة عنها، ومن ذلك وصفه لبلاط الإمام المهدي عباس، وكرم الضيافة التي قوبلوا بها، وكذلك وصفه لسوق صنعاء، وتجارتها وبضائعها المختلفة[٢]، ولما كان العام الذي وصل فيه نيبور إلى صنعاء لا يفصله زمنياً عن القرن التاسع عشر إلا حوالي ثلث القرن بحيث أن الفاصل الزمني بينهما ليس كثيراً، فإننا سوف نقوم ببعض المقارنات فيما بينهما، ومن ثم سوف يكون لنا عودة إلى رحلة نيبور، وهكذا نجد تتابع الرحالة الغربيين إلى الجزيرة العربية بشكل عام وإلى اليمن عموماً، وإلى صنعاء خصوصاً، عبر المراحل الزمنية المختلفة من العصر الحديث، ومن هذا المنطلق وحتى تكتمل الصورة عن هذا الموضوع، كان اختياري لهذا البحث (صنعاء في كتابات الرحالة الغربيين في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي) والذي سوف نحاول ان نركز فيها على المحاور الآتية :

- الأوضاع السياسية في صنعاء في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي .
- المشاهدات العمرانية وذلك من خلال الوصف العام للمدينة إضافة إلى تقسيم المدينة وحاراتها والشوارع والدور والقصور والبساتين والحدائق والغابات .
- المشاهدات الاجتماعية(الزواج – الأسرة – الأطعمة – الألبسة) .

---

١ – كان الرحلة نيبور ورفاقه قد وصلوا إلى مينا اللحية في ٢٩ ديسمبر عام ١٧٦٢م، وجلسوا بها حتى ٢٢/ فبراير ١٧٦٣م، ثم تنقلوا في مناطق مختلفة من أنحاء اليمن حتى وصل ما تبقى من أفرادها إلى صنعاء في ١٦/ يوليو ١٧٦٣م وعددهم أربعة، ثم بعد عودتهم من صنعاء توفي اثنان منهم بالقرب من جزيرة سقطرة ، ثم في الهند توفي خامسهم، ولم يتبق من أفراد البعثة سوى نيبور، وتكون المدة التي قضوها في صنعاء عشرة أيام،{ الصايدي، أحمد قائد(الدكتور)، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ط١، ١٩٩٠م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان

٢ – {توركيل هانس، من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ترجمة: محمد أحمد الرعدي، ط٢، ٢٠١٦م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار العودة، بيروت، لبنان }.

- المشاهدات الاقتصادية(الزراعة – التجارة – الصناعة – الأسواق) .
- الحياة العلمية والدينية(المساجد – المدارس – المخطوطات)

أولا: الأوضاع السياسية في صنعاء في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي

لقد شهدت صنعاء خلال هذا القرن أوضاعاً سياسياً مستقرة وآخري مضطربة، ويمكننا أن نقسم هذه المدة الزمنية – القرن الثالث عشر الهجري– إلى قسمين أو ثلاثة أقسام، ومن ثم نميز فيما بينهما، القسم الأول من بداية القرن الثالث عشر وحتى النصف الثاني منه، وما بعد ذلك بقليل وبالتحديد حتى العام ١٢٥٦هـ، ويتميز هذا العصر بنوع من الاستقرار وإن شابه شيء من الضعف والاضطراب، حيث تعاقب على الحكم فيه خمسة أئمة من آل القاسم أولهم المنصور علي بن المهدي عباس(ت : ١٢٢٤هـ)، وأخرهم الناصر عبد الله بن الحسن والذي استمر في الحكم حتى العام ١٢٥٦هـ، وأما القسم الثاني من هذا القرن، فقد تعاقب على الحكم فيه منذ العام ١٢٥٦هـ وحتى العام ١٢٨٩هـ، وهي سنة دخول الأتراك صنعاء، أكثر من خمسة عشر عاماً، البعض منهم لم يستمر في الحكم سوى ستة أشهر، وبعضهم تسعة أشهر، وقد وصف هذا العصر بالضعف وتعدد الأئمة، وخروج القبائل عليهم مرة بعد أخرى، وأما القسم الثالث فهو عصر سيطرة الأتراك وذلك منذ العام ١٢٨٩هـ وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ولقد استمرت سيطرة التارك فيما بعد ذلك حتى العام ١٣١٦هـ وما بعدها[١]، ومن خلال ما سبق سوف نتحدث عن كل قسم أو عصر وذلك على النحو التالي :

١٨– ويذكر لنا بعض المؤرخين كتاب الحوليات ان العثمانيين استمروا في صنعاء حتى العام ١٣١٦و١٣١٧هـ، ثم استمر وجودهم حتى العام ١٣٢٩هـ مجهول، حوليات يمانية، ص٥٧٣، ٥٧٤، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩١م، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، الحيمي، محمد بن لطف الباري اليمني، الروض الباسم في ما شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام، ص٧٣، ٧٤، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٠م، مطابع المفضل للاوفست، العمري، حسين عبد الله تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل على الله إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين، ص١٩٥، ط٢، ٢٠٠١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

أما العصر الأول: فيبدأ منذ تولي الإمام المنصور علي بن المهدي عباس خلفاً لوالده المهدي عباس[1] وذلك في العام ١١٨٩هـ، واستمر في الحكم حتى العام ١٢٢٤هـ، حيث بايعه الجميع العلماء والأمراء وآل الإمام وسائر الناس بدون أي منازع، وقد منحته خبرته الطويلة في الإدارة والقيادة العسكرية أيام أبيه لمدة سبعة عشر عاما، مقدرة على حل المعضلات، ومواجهة المشكلات وخاصة في العقدين الأولين من حكمه، حيث أعتمد على رجال دولة والده وكان على رأسهم القاضي يحيى السحولي، الذي أُعيد تنصيبه بمنصب قاضي القضاة، وقد استمر حتى وفاته في العام ١٢٠٩هـ، حيث قام المنصور علي بعد ذلك باختيار شخصية علمية لها شهرتها بين العلماء والأمراء ألا وهو العلامة المجتهد شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) والذي كان له دور مهم ومتميز ليس في مجال القضاء فقط بل وفي الحياة السياسية والإدارية بقية أيام المنصور، ثم أيام حكم ولده أحمد، وقد استطاع المنصور أن يقضي على التمرد، والخروج على الحكم الذي حصل من قبل العلامة علي بن أحمد إسحاق، وتحالفه مع قبائل برط، حيث استغرق ذلك منه الكثير من الجهد والعتاد إلى أن تم الصلح بينهما في العام ١١٩٩هـ، حيث انخرط ابن إسحاق بعد ذلك في مجال العلم والأدب، وقد استمر حكم المنصور طويلاً ما يقارب خمسة وثلاثون سنة، حيث انصرف في أخر حكمه إلى " إلى عمارة الدور والقصور ومجالسة النساء من الحرائر والائماء واجتناء ثمرات اللذات المباحات " وفوض وزيره الفقيه حسين بن حسين عثمان العلفي، الذي أصبح بمثابة الحاكم الفعلي، ومن ثم قصر في دفع رواتب الجنود، وبعض الجرايات التي كانت تعطى لبعض القبائل، مما جعلهم – أي

---

١ – المهدي عباس بن المنصور الحسين بن المتوكل القاسم وترتيبه رقم عشرة في أئمة آل القاسم، تولى الحكم بعد وفاة والده في سنة ١١٦١هـ، حيث أجمع الناس على مبايعته، وقد وصفه الشوكاني بأنه كان محباً لأهل العلم، قوي التدبير، عالي الهمة، محباً للعدل، وناصفاً للمظلوم، كثير التصدق على الفقراء، وكان من أقوى أئمة عصره، وقد استمر في الحكم حتى وفاته سنة ١١٨٩هـ الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي(ت: ١٢٥٠هـ، البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، ص٣٢١، ٣٢٢، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ط١، ١٩٩٨م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان}، والمهدي عباس هو الذي وصلت في عهده بعثة الرحالة كارستين نيبور إلى صنعاء، كما ذكرنا ذلك سابقاً .

القبائل – يقطعون الطرقات وينهبون الأموال، بل ويسفكون الدماء، واستشرى الفساد في كل مكان، الأمر الذي اضطر ولد الإمام وهو المتوكل أحمد بن علي أن يقبض على هذا الوزير ويأمر بسجنه، ويقوم بمحاصره والده ووضعه تحت الإقامة الجبرية وذلك بعد أن تدخل الشوكاني في الصلح بينهما على أن يكون للابن تدبير شؤون البلاد والحكم باسم أبيه، ويبقى الوزير في معتقله[١]، ولم يستمر من بعد ذلك سوى عام واحد، حيث توفي المنصور علي بن المهدي سنة ١٢٢٤هـ[٢].

أما ثاني الأمة في هذا العصر فهو كما أسلفنا المتوكل أحمد بن علي بن المهدي عباس، وتمت المبايعة له بعد وفاة والده مباشرة، وكان الشوكاني أول من بايعه وأخذ له البيعة من أخوته وأعمامه وجميع آل القاسم، ومن العلماء والأعيان، وكان المتوكل أحمد على درجة كبيرة من الخبرة والإدارة، والقيادة العسكرية، حيث استطاع ان يعيد هيبة الدولة من خلال قيامه بحملات عسكرية عديدة شمالا وجنوبا [٣]، ولم يستمر المتوكل أحمد كثيراً في الحكم سوى سبع سنوات ثم توفي بعدها وذلك في العام ١٢٣١هـ[٤] ، وخلفه من بعده ولده المهدي عبد الله بن أحمد بن علي، والذي نحسبه ثالث الأئمة في هذا العصر، وتمت مبايعته من جميع الأمراء من آل القاسم، والعلماء، والأعيان، ثم من جميع الناس، وكان المتولي لأخذ البيعة له أيضا شيخ الإسلام الشوكاني في اليوم الثاني من وفاة والده[٥]، والذي أصبح فيما بعد بمثابة الوزير له، يستشيره في جميع أموره، الأمر الذي أدى إلى استمراره في الحكم لمدة عشرين عاماً، دون أن

---

١ – الشوكاني، البدر الطالع، ص٤٦٤–٤٦٩، الحيمي، الروض البسام، ص٣٣٩، العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ١٢٧–١٢٨، ١٢٩ .

٢ – الشوكاني، البدر الطالع، ص٩٤، ٩٥، العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ١٢٩.

٣ –مجهول، حوليات يمانية، ص١٧، وكان من مآثر المنصور بناء دار البشائر في الروضة، ودار الصافية في بئر العزب، ودار البونية، وجامع الزمر.

٤ – مجهول، حوليات يمانية، ص٢٥.

٥ –الشوكاني، البدر الطالع، ص٩٥، ص٣٨٤.

ينازعه فيها أحد، وبهذا يكون آخر الأئمة من آل القاسم ممن طال حكمه[١] ، حتى وفاته في العام ١٢٥١هـ، ثم خلف المهدي عبد الله ولده علي، والذي لم يستمر في الحكم سوى عام واحد – مدة حكمه الأول– إلى عام ١٢٥٢هـ-[٢]، حيث تم خلعه، وعزل بعد مؤامرة قادها أحد أبناء عمومته من آل القاسم، وهو الناصر عبد الله بن الحسن، والذي يُعد الخامس من أئمة هذا العصر – بعد علي بن المهدي –، ولم يستمر حكمه طويلاً وإنما لمدة أربع سنوات انتهت بقتله على أيدي بعض قبائل همدان ممن ينتسبون إلى الباطنية، وذلك في وادي ظهر في العام ١٢٥٦هـ[٣]، ومن ثم ومن خلال ما سبق وما سيأتي معنا، كانت وفاة الناصر نهاية عصر وبداية عصر جديد، **وهذا العصر الثاني** من ١٢٥٦هـ وحتى سنة ١٢٨٩هـ.

وأول حكام هذا العصر من أئمة آل القاسم هو علي بن المهدي عبد الله الذي سبق له أن حكم لمدة عام واحد مثل الناصر، وقد تلقب بالمتوكل، وهذه هي المرة الثانية الذي يتولى فيها، حيث أجمع أهل الحل والعقد بعد مقتل الناصر على مبايعته، واستمر في الحكم لمدة أربع سنوات حتى عام ١٢٦٠هـ، حيث ظهر له منافس قوي إلا وهو محمد بن يحيى بن المنصور علي، والذي تلقب بالمتوكل، والذي نجح قبل ذلك في التحالف مع الشريف حسين بن علي بن حيدر صاحب تهامة كي يساعده في دخول صنعاء، وكان له ما أراد، حيث خاض معركة مع خصمه المنصور علي بن المهدي بالقرب من نقيل يسلح جنوب صنعاء، انتهت بالمصالحة فيما بينهما، على أن يتنازل علي بن المهدي لخصمه بحكم صنعاء، وكان ذلك في شهر

١– العمري، تاريخ اليمن الحديث، ص١٣٠، ويذكر أنه في عهده " خصبت الأرض، وأمنت السبل، وأنه أجزل العطاء والهبات، ووزع بين الفقراء الصدقات، وأقام الشريعة المحمدية، وأجلّ العلماء وأكرمهم، ورفع منزلتهم" {مجهول، حوليات يمانية، ص٢٦ }.

٢ – مجهول، حوليات يمانية، ص٧١.

٣ – المصدر نفسه، ص٧١، ٧٢، ٧٣، ٩٢، العمري، تاريخ اليمن الحديث، ص١٣٠، وفي عهد الناصر هذا كان مجيء الحملة المصرية إلى اليمن بقيادة إبراهيم باشا، والتي وصلت إلى الساحل، وأرادت التقدم نحو الداخل، ولم يتمكن الناصر عبد الله من مواجهتها، إلا أن بريطانيا والدول العظمى أجبرت محمد علي باشا في مصر على سحب قواته وتم لهم ذلك، وفي هذه المدة كان احتلال بريطانيا لعدن سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م،{العمري، تاريخ اليمن الحديث، والمعاصر، ١٤١ }.

جمادي الآخرة سنة ١٢٦٠هـ، حيث دخل صنعاء وأظهر حنكة ومقدرة أكثر من سلفه علي بن المهدي[١] ، وقد استمر المتوكل محمد بن يحيى في الحكم بعد ذلك حتى العام ١٢٦٥هـ، حيث واجهته الكثير من المشاكل منها ما كان حليفه السابق الشريف حسين بن علي بن حيدر وغيرها، ثم انتهى به الأمر إلى أن تعاون مع الأتراك وسهل لهم دخول صنعاء في العام ١٢٦٥هـ، حيث كان عقوبته السجن[٢].

علي بن المهدي يحكم للمرة الثالثة وتلقب بالهادي:

بعد سجن المتوكل محمد بن يحيى، أجمع أهل صنعاء على اختيار علي بن المهدي للمرة الثالثة كونه قائد حركة المقاومة ضد الأتراك، وفي هذه المرة لم يستمر في الحكم سوى عام واحد تقريبا، حيث عارضه إمام آخر من غير آل القاسم وهو أحمد بن هاشم الويسي والذي لقب نفسه بالمنصور، وبايعته القبائل في كل من حوث وخمر وعمران، وكان أن التقى مع علي بن المهدي في معركة انهزم على أثرها علي بن المهدي، ورجع إلى صنعاء، حيث أمر بقطع رأس عدوه القديم المتوكل محمد بن يحيى خوفاً من شره وذلك في أوائل سنة ١٢٦٦هـ، وخلال ذلك أستطاع معارضه هاشم الويسي ان يجمع القبائل مرة أخرى ويعسكر بهم في حضور غرب صنعاء ومن ثم يتقدم حتى قرية سناع على مقربة من جنوب صنعاء والتي أصبحت تحت تهديد

١- الحيمي، الروض الباسم، ص١٨، ١٩، ٢٠، مجهول، حوليات يمانية، ص١٢٧، ١٢٨ .

٢ - كان المتوكل محمد بن يحيى طموحاً وفي سبيل ذلك استخدم مختلف الوسائل وإن كانت غير ملائمة وذلك في سبيل الوصول إلى مصالحه الشخصية، فعندما لم يمده حليفه القديم بالأموال، إذا به ينزل تهامة ويلتقيا في معركة تنتهي بهزيمة حليفه وأسره، ولما سمع بوصول القوات التركية إلى تهامة إذا به يسارع إلى استقبالهم وتمهيد الطريق لدخولهم إلى صنعاء، فلم يغفر له الأهالي هذه الخيانة، حيث استطاعوا ومعهم علي بن المهدي أن يحاصروا الأتراك داخل المدينة وينزلوا بهم هزيمة ساحقة في شوارعها وازقتها، ومن ثم تم القبض على المتوكل محمد بن يحيى وإيداعه في السن، ومن ثم انسحاب القوات العثمانية إلى تهامة{ الواسعي، عبد الواسع بن يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ص٢٤١، ٢٤٢، ط٢، ١٩٩١م، مكتبة اليمن الكبرى، مجهول، صفحات مجهولة من تاريخ اليمن وقانون صنعاء، ص٢٢-٢٥، تحقيق القاضي: حسين أحمد السياغي، ط٢، ٢٠٠٨م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء .

الويسي[١] ، ومن ثم كما يذكر بعض المؤرخين محاصرته لصنعاء ودخوله إليها، ثم خروجه منها لعدم قدرته على دفع مرتبات الجند، والذهاب إلى القبائل في بلاد أرحب[٢]، ونظراً لاستمرار خطر هاشم الويسي واستمرار الفتنه بينه وبين علي بن المهدي، عند ذلك نجد أهل صنعاء يجمعون على اختيار فقيه من آل القسم ألا وهو عباس بن عبد الرحمن بن محمد بن القاسم الحسني الشهاري والذي لقب بالمؤيد، ولم يستمر حكمه تقريباً سوى تسعة أشهر، حدثت خلالها فتن وحروب بين أتباع كل من المؤيد الحسني الشهاري وأتباع هاشم الويسي، ومن جهة أخرى بينهما معاً وبين علي بن المهدي، حيث انتهت هذه الفتن بتغلب الأخير واختياره للحكم للمرة الرابعة[٣].

علي بن المهدي يحكم للمرة الرابعة :

وفي هذه المرة لم تزد خلافته عن ستة أشهر فقط، حيث ظهر له معارض وطالب بثأر أبيه إلا وهو الأمير غالب بن المتوكل محمد بن يحيى، الذي كان علي بن المهدي قد قطع رأس والده سابقاً، حيث استطاع هذا الأمير أن يجمع القبائل من حوله ويدخل صنعاء ويستولي عليها مستغلاً غياب علي بن المهدي عنها، ولم يستمر الصراع فيما بينهما حتى أستطاع الأمير غالب أن يحاصر علي بن المهدي في وادي ظهر، ويجبره على التنازل له بالإمامة، ويعود بعدها الأمير غالب إلى صنعاء في العام ١٢٦٩هـ[٤] .

---

١ –زبارة، محمد بن أحمد، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر الهجري، ص٢٣٦، مركز البحوث والدراسات اليمني، دار العودة، بيروت، لبنان، د. ت، ولمزيد من التفاصيل حول الفتن والحروب التي وقعت بين كل من علي بن المهدي والمنصور هاشم الويسي، ومن ألتف حوله من القبائل، ثم تخلو عنه، ومن ثم هروبه من صنعاء ينظر {الحيمي، الروض الباسم، ص٧٥–٧٨} .

٢ –زبارة، نيل الوطر، ج٢، ص٢٣٨.

٣ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧، زبارة، نيل الوطر، ص١٤٣.

٤ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٤٧، ٢٤٨، الحداد، محمد يحيى، التاريخ العام لليمن،ج٤، ص٢٠٨–٢١١، ط١، ١٩٨٦، دار التنوير، بيروت، لبنان.

وبعد دخول الأمير غالب صنعاء لم يستقر بها كثيراً، حيث نافسه وزيره أحمد بن عبد الله شوع الليل، الذي رغب هو الأخر في الإمامة، وأدعى لنفسه، مما أدى خروج الأمير غالب إلى قبائل برط ليستقوي بهم ضد وزيره، وهكذا يستمر النزاع على الإمامة، حيث يتنازل أحدهم عن الإمامة، ثم ما يلبث أن يظهر منافس آخر، حتى وصل الأمر في كثير من الأوقات أن أهل صنعاء ينقسموا إلى قسمين، القسم الشرقي منها مع إمام والقسم الغربي مع إمام آخر، مما أضطر ممن تبقى من سكانها إلى إغلاق بيوتهم ومتاجرهم وحتى الجامع الكبير بالمدينة استمر في بعض الأوقات مغلق لمدة شهرين[١].

وكان من نتيجة ذلك استمرار الفوضى بصورة غير مألوفة وكانت النتيجة أن " هزل مركز الإمامة، وظهر أكثر من إمام في السنوات القليلة القادمة " [٢]، حيث تتابع على حكم صنعاء من العام ١٢٦٥هـ –١٢٧٢هـ أكثر من ستة أئمة، أربعة منهم من غير آل القاسم[٣]، وعند ذلك حسم أهل صنعاء موقفهم" من هذه الفوضى الأمامية ، ومكان يتبعها من معرة الجيوش التي كانت تدخل لمناصرة هذا الإمام أو ذاك، باختيار عقال المدينة ومشايخها لواحد من كبارهم ليكون هو السلطة الفعلية وبيده إدخال إمام أو أخراجه، أو تنصيب جديد، وخلع آخر " [٤] ، وكان أول هؤلاء الذين اختارهم أهل صنعاء هو الحاج أحمد بن أحمد الحيمي في العام ١٢٧٣هـ ليكون عاقلاً للمدينة، ولكن الحيمي أساء السيرة، وقام بسجن بعض علماء الشريعة بصنعاء، ولم

١ –الحداد، التاريخ العام لليمن،ج، ص٢٠٩، ٢١٠.

٢ –الحرازي، محمد بن أحمد، رياض الرياحين في أنباء الأولين، السفر الثاني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مقدمة المحقق ص٦، ط١، ١٩٨٦، دار الفكر، بيروت، لبنان .

٣ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٤٨– ٢٥، الصفواني، رياض محمد، مواقف العلماء اليمنيين من سياسة أئمة الدولة القاسمية، ص٣٩، دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر، د.ت.

٤ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٥٦، العمري، مقدمة رياض الرياحين، ص٢٦، ٢٧ .

كتف بذلك بل أمر بهدم دور صنعاء التاريخية القديمة، ونهب ما فيها من الأمتعة والنفائس[١] ، ومن هذه الدور دار الطواشي، والذي سيأتي الحديث عنها فيما بعد، وقد أدى ذلك إلى سخط الأهالي وغضبهم عليه، فقاموا بخلعه واختيار بدلاً عنه الشيخ محسن معيض[٢]، الذي لم يختلف كثيراً عن سلفه من حيث السلوك والعمل، حيث سولت له نفسه فيما بعد العمل على مراسلة الأتراك الذين كانوا متمركزين في تهامة، وحثهم على المجيء إلى صنعاء، بل عمل على كتابة مرسوم بأسماء المشايخ والعلماء وكل واحد منهم عليه توقيعه وختمه بالطاعة للسلطان العثماني، وأرسل به مع بعض العلماء، ثم كان بعد ذلك على رأس المستقبلين لهذا الحاكم إلى قرية عصر خارج صنعاء[٣] مما جعله في البداية يحضى بالقبول لديهم، ثم سرعان ما كانت نهاية على أيديهم[٤] .

وكان دخول الأتراك صنعاء في العام ١٢٨٩هـ، ومنذ هذا التاريخ وحتى العام ١٣٠٠هـ نهاية القرن الثالث عشر الهجري، تدخل صنعاء خصوصاً، وكثير من المناطق اليمنية عموما تحت الحكم العثماني **وهذا هو العصر الثالث** والذين لم يجدوا عند دخول صنعاء أي مقاومة تذكر، حيث كان في استقبال الوالي أحمد مختار باشا عدد من العلماء، وكبار التجار، وبعض أبناء الأئمة من آل القاسم، ولم يلبث أحمد مختار إلا سنة بصنعاء، واستطاع خلالها ان يقضي على أكثر من تمرد من القبائل خارج المدينة، ثم عزل وعين بدلاً عنه الوالي أحمد أيوب[٥]، والذي

---

١ – كانت نهاية الشيخ الحيمي أن فرّ من صنعاء، واستعان ببعض القبائل لكي يدخل صنعاء مرة آخري ولكنه فشل في ذلك، وذهب بدوره إلى تهامة ليساعد الأتراك في دخولهم صنعاء ولكنه قبل وصوله وقع أسيراً بيد أحد الأئمة، حيث تم القبض عليه وإدخاله إلى صنعاء مقيداً، وتم وضعه في السجن، ثم ما لبث أن مات فيه سنة ١٢٧٧هـ{ الحرازي، رياض الرياحين، ص ٨٢، مجهول، حوليات يمانية، ص١٢٧، مجهول، صفحات مجهولة، ص٦٥، ٦٨} .

٢ – مجهول، صفحات مجهولة، ص٨١، الحداد، التاريخ العام لليمن،ج٤، ص٢١١، ٢١٢ .

٣ –الحرازي، رياض الرياحين، ص ٧٥، ١٧٦، مجهول، حوليات يمانية، ص٢٦٤، ٢٩٦، ٢٩٧.

٤ –العمري، مقدمة رياض الرياحين، ص٢٨، الحداد، التاريخ العام لليمن،ج٤، ص٢٢٢.

٥ – الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٦١، ٢٦٢.

في عهده حدث خلاف وتمرد من كل من قبيلة خولان وحاشد وبكيل، حيث استطاع أن يقضي على تمرد خولان، وفي أثناء ذلك عزل الوالي أحمد أيوب، وعين بدلاً عنه مصطفى عاصم في سنة ١٢٩٣هـ، واستمر حتى العام ١٢٩٥هـ، واستطاع خلال هذه المدة أن يقضي على تمردات القبائل حاشد وأرحب، إضافة إلى التمرد الذي حصل في منطقة المخادر، ثم حصل من هذا الوالي أن قام بحبس عدد من العلماء[١] ، وأرسلهم إلى الحديدة، حيث مكثوا في سجنها سنتين، ولم يتم الإفراج عنهم إلا حين وصول الوالي الجديد إسماعيل حقي باش[٢] ، وأستمر إسماعيل حقي باشا من العام ١٢٩٥هوحتى ١٢٩٩هـ، حيث وصف بالعدالة والإنصاف، وسعى خلال هذه المدة إلى أنشاء كتيبة من الجند العرب– أي اليمنيين – والهدف منها قمع أي تمرد قد تقوم به أي قبيلة، فكانوا يظهرون من الشجاعة والبسالة في إخماد الفتن مالا تستطيع أن تقوم به إضعاف مضاعفة من كتائب الأتراك، إضافة إلى أن هؤلاء الجند اليمنيون عندما يصلون إلى أي قبيلة لتأديبها وإخماد تمردها، يخاف أفراد هذه القبيلة من أن يقتلون أخوانهم[٣] ، حتى ولو أنهم داخلون تحت حكم الأتراك .

وقد سعت الإدارة العثمانية جاهدة إلى التغلب على الكثير من هذه المشكلات، وإحلال الأمن والاستقرار، فعملت على شق الطرقات في تلك المناطق الجبلية الوعرة، حتى تتمكن من جرّ المدافع والأسلحة إليها، كما عملت على ربط العاصمة صنعاء ببعض المناطق – الولايات البعيدة – وأدخلت شبكة الأسلاك(البرق)، وذلك لأول مرة في العام ١٢٩٠هـ، وفي العام ١٢٩٤هـ، أدخلت أول مطبعة عربية وآخري تركية، حيث صدرت أول صحيفة يمنية سميت

١ – بلغ عدد هؤلاء العلماء الذين تم حبسهم أربعين عالماً، وكان منهم والد الإمام المتوكل بالله يحيى بن حميد الدين قبل أن يصبح والده إماما، وكذلك رئيس العلماء أحمد بن محمد الكبسي، والعلامة حسين بن علي غمضان، وقد توفي بعضاً من هؤلاء العلماء في السجن بعيداً عن أهله وأولاده مثل العلامة محمد بن محمد المطاع والعلامة علي بن محمد الجديري، والفقيه الزاهد محمد بن إسماعيل عشيش وكان ضريراً{الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٦٣} .

٢ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٦٣، الحداد، التاريخ العام لليمن،ج٤، ص٢٢٢، ٢٢٣.

٣ –الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٢٦٤.

بصحيفة(صنعاء)، والتي كانت تحمل أخبار السلطنة في تركيا، وما كان يصدر من قوانين ومراسيم، وغير ذلك من الإخبار[١] ، كل ذلك ساعد نوعاً ما على تثبيت الوجود العثماني في اليمن حتى نهاية هذا القرن وفيما بعد ذلك .

وقبل الحديث عن المشاهدات العمرانية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها عن صنعاء،لا بد لنا من ذكر الرحالة الغربيين الذين وصلوا إلى اليمن عموماً وصنعاء خصوصاً في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، وتاريخ وصولهم إلى صنعاء، وكم مكثوا بها من الأيام والشهور، ويأتي في مقدمة هؤلاء الرحالة اولرش سيتزن، الذي وصل إلى اليمن في ٨ إبريل ١٨١٠م/١٢٢٤هـ، ثم كان وصوله مع مرافقه إلى صنعاء في ٢ يونيو ١٨١٠م/١٢٢٤هـ، واستمر اولرش بها حتى غادرها في ٢٧ يونيو، وبهذا يكون أستمر بها لمدة خمسة وعشرين يوماً متوجهاً بعدها إل ذمار[٢] ، وأما الرحالة الثاني فهو جوزيف هاليفي الذي وصل إلى صنعاء سنة ١٨٧٠هـ/١٢٨٧هـ، واستمر بها حوالي شهرين، غادرها في ما بعد إلى الشمال الشرقي إلى بلاد أرحب ونهم، إلى أن وصل مأرب[٣]، وإما الرحالة الثالث فهو رينو مانزوني الايطالي الذي

---

١ –الحداد، التاريخ العام لليمن،ج٤، ٢٢١.

٢ –الصايدي، أحمد قائد(الدكتور)، اليمن في عيون الرحالة الأجانب(رحلة اولرش سيتزن)، ص١٠٢، ١٠٩، ط١، ٢٠١١م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، وحتى تتضح لنا أهمية رحلة سيتزن العلمية، وخصوصاً فيما يتعلق بالتراث والآثار والنقوش العربية عموماً واليمنية خصوصا، فقد قام اولرش قبل وصوله إلى اليمن برحلات عديدة إلى الشرق استمرت لمدة ٧ أعوام، زار خلالها تركيا وبلاد الشام سوريا، وتعلم فيها اللغة العربية، ثم فلسطين ومصر، ومكث في القاهرة ما يقرب من عامين، استطاع أن يشتري خلالها عدد ١١٦٢ مخطوطة، وكذا جمع عدد ١٣٦٤ قطعة أثرية، ثم عن طريق البحر أنتقل إلى ميناء جدة، زار خلالها مكة والمدينة، وظل بهما ٧ أشهر، ثم غادر بعد ذلك إلى اليمن، وصل إلى صنعاء تحت اسم منتحل وهو الحاج موسى الحكيم ومعه حمولة مكونة من سبعة عشر جملاً بها أوراقه وأغراضه، ولعل هذه الحمولة من الجبال التي اصطحبها معه كانت في رحلته الثانية إلى صنعاء، ثم غادر إلى بعد ذلك إلى المخا ثم إلى تعز والذي لم يصل إليها حيث توفى غيلة أثناء طريقه إليها{ الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص١٠٤، ١٠٥ }.

٣ – هاليفي، جوزيف، رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، (رؤيا اليمن حييم حبشوش، ترجمة : سامية نعيم صنبر) (تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن قدمه جوزيف هاليفي)، ص١٤٥، ١٤٦، ١٦٩، ترجمة : منير عريش، ط١، ١٩٩٢م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

وصل إلى اليمن في سبتمبر عام ١٨٧٧م/١٢٩٤هـ إلى مدينة عدن، ومن هناك في ٢٠ سبتمبر أتخذ طريقه عبر مناطق يمنية مختلفة، حتى وصل إلى صنعاء بصحبة الحاج حسين الرحبي في ١٥ أكتوبر ١٩٧٧م، ومكث في صنعاء مائة وستون يوماً- خمسة أشهر- أستطاع خلالها أن يسجل مشاهداته عن معظم جوانب الحياة في صنعاء، ومن ثم تُعد هذه الرحلة في نظرنا أشمل وأعم ما كتبه رحالة غربي عن المدينة وضواحيها[١] .

وأما الرحالة الرابع فهو شابيرا التاجر اليهودي الذي كان الهدف من رحلته البحث عن مخطوطات قديمة، وقطع أثرية للمتاجرة بها، وقد وصل إلى مدينة عدن في شهر يونيو ١٨٧٩م/١٢٩٧هـ، وغادرها في ١١ يونيو من العام نفسه، مروراً بمدينة لحج، ثم إلى وادي بنا، ثم إلى مدينة النادرة، ثم السدة في إب، ثم مدينة يريم، ثم ذمار، ثم صنعاء، حيث دخلها في ٢٨ يونيو[٢]، وأما الخامس من هؤلاء فهو لود فيج اشترس الذي دخل اليمن في العام ١٨٨١م/١٢٩٨هـ، حيث كان وصوله إلى الحديدة، والتي أتجه منها إلى صنعاء عبر طريق مدينة باجل، ثم مناخة، ثم منها إلى صنعاء[٣] ولم تذكر لنا المراجع التي بين أدينا كم أستمر هذا الرحالة بصنعاء، ومن خلال التسلسل الزمني لوصول هؤلاء الرحالة، يكون الرحالة النمساوي ادوارد جلازر في الترتيب السادس، والذي قام بأربع رحلات إلى اليمن، تمتد منذ رحلته الاولى١٨٨٢م/١٢٩٩هـ، وحتى الرحلة الرابعة، والتي انتهت في سنة ١٨٩٤م/١٣١٢هـ، واستمرت رحلته الأولى عامين، حيث دخل صنعاء مرتين أو ثلاثة، إلا أنه لم يهتم كثير بما هو داخل صنعاء وإنما أهتم بتسجيل ملاحظاته في الطريق إليها عبر الجبال من الطريق الذي يمر

---

١ – رينزو مانزوني، اليمن رحلة إلى صنعاء، ١٨٧٧– ١٨٧٨م، ص١٨، ١٩، ١٥١، ١٦١، ترجمة : ماسيمو خير الله، ط١، ٢٠١١م، الصندوق الاجتماعي للتنمية صنعاء .

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص١٩٠، ١٩١، ١٩٢} .

٣ –المرجع نفسه، ص١٩٥، ١٩٦ .

من الحديدة إلى صنعاء، وكذا بعد خروجه منها وخاصة أثناء رحلاته إلى قبائل حاشد وبكيل[١]، ويأتي في الأخير الرحالة الألماني هرمن بور خاردت الذي قدم اليمن في العام ١٨٩١م/١٣٠٩هـ، وقد سلك نفس الطريق الذي سلكه من سبقه من الحديدة حتى صنعاء[٢]، والذي وصلها دون أن يحدد لنا تاريخ وصوله أو حتى الزمن الزمن مكث بها[٣]،

ثانيا المشاهدات المعمارية (الوصف العام – أقسام المدينة – الشوارع – القصور والدور – الحدائق والبساتين):

أما الوصف العام للمدينة فمن خلال ما سبق، ومن خلال المشاهدات المختلفة المباشرة لهؤلاء الرحالة، نجد أنهم قد أعجبوا بمدينة صنعاء، بل ويمكننا القول بأنها قد سحرتهم، وذلك لما كانت تتمتع به من مميزات حضارية فريدة، وصفها اولرش سيتزن بقوله " صنعاء هي أجمل مدينة شاهدتها في الشرق، ولا أستثني من ذلك حتى القسطنطينية ... ومنازلها لطيفة وعالية ومتلاصقة ومطلية إما باللون الأبيض فقط أو بألوان مختلفة، وممراتها مرصوفة ونظيفة دائما، ويتفنن الناس في صنعاء في العناية بالحدائق، فالحدائق الرائعة الموجودة في المدينة خصصت لها أماكن منخفضة، يتمكن المارة من مشاهدتها أثناء أثناء مرورهم، هكذا يمكن أن توصف صنعاء حتى في أوروبا بأنها مدينة جميلة ورائعة " [٤] ، ويرى البعض منهم بأن " صنعاء هي عاصمة اليمن، وتعتبر أقدم مدينة في العام، أنشأها سام بن نوح[٥]، " وصنعاء هي أجمل مدينة بمقايس الشرق " [٦] ، وتقع " وسط سهل واسع محاطة من كل الجهات لاسيما من الشمال

١ –رحلات ادوار جلازر إلى اليمن، ص٧، ٦٢، ١٣٣، ترجمة: أحمد قائد الصايدي، ط٢، ٢٠٢٢م، دون(دار) .

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٩.

٣ – كان لهذا الرحالة عودة أخرى إلى صنعاء بعد أن غادرها في المرة الأولى متوجهاً إلى عمران، ثم إلى شبام، ثم إلى زبيد، ومنها إلى تعز، ثم العودة إلى صنعاء الذي وصلها في ٣١ /١٨٩١م{ الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص٣٧٢، ٢٧٢، ٣٧٤ }.

٤ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١.

٥ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة بور خاردت)، ص٣٧٠.

٦ –مجدي الصالح، رحلة الأسرار المدفونة، ص٥٠، ط١، ٢٠١٩، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، برلين ألمانيا.

والجنوب بخضرة بديعة، متصلة في أحدى جهاتها حتي الروضة وكأنها حديقة واحدة ... لا بد من صنعاء وأن طال السفر، هكذا يقول العرب، أن القلب لا يطاوع المرء في تجنب صنعاء، وعدم المرور بها"[١]، ويرى الرأي صنعاء من بعيد " تبدو وكأنها حدوة حصان[٢]، ولعل الحياة في صنعاء كانت إلى نهاية القرن التاسع عشر تشبه الحياة في القرى، لذلك يصف أحد الرحالة أن " الحياة في صنعاء ما تزال أكثر هدوء بكثير من مدن الشرق الأخرى فبعد غروب الشمس نادراً ما يغادر المرء منزله " [٣] ، وبذلك تكون " صنعاء هي بدون شك أجمل المدن العربية بكاملها " [٤] .

أقسام صنعاء :

تنقسم صنعاء إلى ثلاثة أقسام ، كما يذكر ذلك كل من رينزو مانزوني وهرمن بور خاردت – وإن كان وصفهم غير مطابق تماماً للواقع – وهذه الأقسام هي :

- مدينة صنعاء الأصلية(القديمة) الواقعة شرقا، والتي تحتوي على قصر الوالي، وفيها معظم المساجد والمدارس، والسماسر، والأسواق، وبها جميع المنازل التي بنيت على الطراز العربي .
- بئر العزب ، ويقع إلى الغرب من صنعاء القديمة، ويسكنه كبار الموظفين، وهذا الحي كله حدائق .

---

١ –جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٤.

٢ –{لصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١٩٥ ، ويرى مانزوني ان صنعاء تشبه بأجزائها الثلاثة – أحيائها – شكلاً متوازي الإضلاع)، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٠ .

٣ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص٣٧١، ٣٧٢، ولعل في ذلك مبالغة ، إذ المعروف لدى أهالي صنعاء أو غيرها – كونهم مسلمين – الذهاب إلى المساجد لصلاة المغرب والعشاء، ومن ثم العودة إلى منازلهم لكي يخلدوا للنوم .

٤–الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١٦، وقد وصف الرحالة نيبور ورفاقه عند زيارتهم لصنعاء قبل ذلك في العام ١٧٦٣م أي قبل اولرش سيتزن بنصف قرن وأقل بأن " صنعاء كانت حقاً جنة الله على الأرض "{توركيل هانس، من كوبنهاجن إلى صنعاء، ص٢٩٤} .

- حي اليهود – المسمى قاع اليهود – ويقع إلى الغرب من بئر العزب وله سوقه الخاص ومحاط بسور، كما أن بئر العزب محاط بسور أيضاً، وكل هذه الأسوار مبنية من الطين، وبها أبراج كثيرة[١] .

أما شابيرا وهو التاجر اليهودي من القدس فيذكر أن " الحي الذي يسكنه المسلمون محاط بسور خاص وبيوته عالية يبلغ ارتفاعها ستة إلى سبعة طوابق[٢] ، وهو بهذا وكونه يهودي الديانة يفرق بين الحي الذي يسكنه اليمنيون بصنعاء القديمة، والحي الذي يسكنه اليهود، وحي بئر العزب الذي يسكنه الأتراك حديثاً، وبئر العزب ببساتينه التي لا نهاية لها، يشكل مقر إقامة الأتراك الأثرياء، الذين بنو قبل بضع سنين بيوتاً جميلة، مثل دار الصافي، ودار البهمة، واللذان كانا فيما مضى قصور الأئمة، لذلك يشكل بئر العزب المنطقة الأكثر رفاهية وجمالاً من كل أنحاء صنعاء[٣] ، أما قاع اليهود فهو المكان الوحيد لسكناهم فيه سوقهم ومعابدهم وورشاتهم، والبيوت من خارجها شكلها فقير، ومسكوه جميعاً بالطين وروث الحيوانات، وقليلة الارتفاع، تتألف من طابق واحد، مع نوافذ صغيرة جداً، ولا يوجد أي زخرفة نظراً لان اليهودي عليه أن يظهر أنه أدنى قيمة من العربي المسلم، ولكن بيوتهم من داخلها نظيفة جداً، ولديهم أحواش تذكر بالفناء المرصوف الاسباني والمغربي، مرصوفة بألواح كبيرة من الحجارة، والجدران مبيضة، والغرف الداخلية واسعة ومضاءة جيداً، ولها أبواب ونوافذ داخلية عريضة وعالية،

١ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١٦٩ ، ٢٠٤، وقد توهم مانزوني عندما ذكر أن المتوكل حياً أو قسم من أقسام صنعاء، بينما هو كما سيأتي معنا بستان المتوكل، ولكن لكون البستان كبير ومحاط بسور كبير، فقد توهم ذلك، وهو الذي أستمر بصنعاء مدة خمسة أشهر .

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة نقلاً عن رحلة شابيرا، ص١٩٣ .

٣ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٥، وكان بئر العزب فيما مضى وتحديداً في سنة ١٢٢٣هـ وما قبلها سكناً لخيار الناس من العلماء والظرفاء والحكماء والحكام، وكانت في تلك المدة جنة من الجنان " أنهارها جارية ، وثمارها دانية، من سكنها ذهبت عنه الهموم، وداخله الروح، ونال ما يروم مع يعرف المصنف – أي مصنف الكتاب–ولا رأى مثيلها في الأمصار، مع أختياري لكثير من الاقطار {مجهول، حوليات يمانية، ص٣٣، الكبسي، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، ج٢، ص٣٠١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٠م} .

وتسود نظافة تامة جميع أنحاء المنزل، ويهود اليمن جديرون حقاً بالاحترام، وذلك من نواحي مختلفة، سواء جسدية، أو أخلاقية[١] .

ومما يجاور صنعاء ويحيط بها وعلى مسافات منها من القرى، والمدن والارباض، مما ذكره الرحالة القليل ومما لم يذكروه الكثير، وسيأتي الحديث عنها لاحقاً ضمن منتزهات ومخارف صنعاء مثل " مدينة الحدائق الروضة " وغيرها[٢] .

أسوار صنعاء وأبوابها :

ومن أهم المشاهدات التي سجلها الرحالة عن المدينة وأسوارها ومدى طولها، وكذلك أبوابها، وعددها ومسمياتها، فهي عند مانزوني الذي مكث في صنعاء أطول مدة أربع أبواب رئيسية خارجية، وباب آخر داخلي يصل المدينة بالقلعة ويسمى باب القصر، والأبواب الخارجية الأربعة هي باب شعوب واتجاهه شمالاً الذي يفضي إلى قرية شعوب، ثم إلى قرية الجراف التي تؤدي إلى مدينة الروضة، وباب ستران جنوباً، وثالثاً باب اليمن المتجه جهة الجنوب أيضاً المؤدي إلى طريق ذمار وتعز وعدن، وأخيراً باب السبح – السباح – غرباً المؤدي إلى قاع اليهود، وهذه هي أبواب مدينة صنعاء القديمة، ثم هناك بئر العزب، وقاع اليهود ولها ثمانية أبواب وهي باب شرارة المتجه شرقاً والذي يؤدي إلى صنعاء، وبستان المتوكل، وباب خزيمة، وباب البلقة ، وباب النزيلي جنوباً المؤديات إلى بعض سهول وجبال حدة ، ثم باب القاع(قاع اليهود) غرباً المؤدي إلى مناخة والحديدة، ثم باب عبيلة، وباب الروم شمالاً المؤدي إلى وادي ظهر[٣] ، بينما يذكر لنا الرحالة الألماني هرمن بورخاردت والذي دخل صنعاء بعد مانزوني بثلاثة عشر سنة أن لمدينة صنعاء– القديمة – ثلاثة أبواب فقط وهي باب شعوب، وباب اليمن، ثم الباب الثالث باب القاع

١ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٦، مجدي الصالح، رحلة الأسرار المدفونة، ص٣٨.

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن يورخاردت)، ص٣٧٢.

٣ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٣، ١٧٤، ٢٠٤، ٢٠٥ .

غرباً، موضحاً انه لم يحتفظ بطابعه العربي سواء هذا الباب[١]، بينما الباب المتجه غرباً هو باب السباح المتجه إلى بئر العزب وباب القاع، ومن ثم فأن هرمن لم يوفق في أيراد أبواب المدينة كاملة بشكل صحيح، كما أنه لم يذكر أبواب بئر العزب والقاع، ومن المعلومات المهمة التي سجلها هذا الرحالة – هرمن – أنه عند وصوله إلى صنعاء، كان دخوله من الباب الغربي، ولم يسميه، وان حرس الباب سجلوا دخوله[٢]، مما يعني أن أي قادم كان يصل إلى المدينة لابد وأن يسجل أسمه عبر دخوله من أحدى بواباتها، ومن ثم يتم الرفع باسمه إلى المعنيين، وأما أسوار المدينة بما فيها سور المدينة الرئيسي لصنعاء القديمة فهناك تباين بين بعض الرحالة فيما يخص طولها، فعند مانزوني تصل إلى ٦٨٤٣ متراً للمدينة القديمة، أما المنطقة الواقعة في الطرف الغربي من مدينة صنعاء، والمحاطة بأسوار وهي بئر العزب ، وقاع اليهود يصل طول هذه الأسوار إلى ٦٤٩٦ متراً[٣]، وقياس آخر لسور المدينة قام به شابيرا حيث قام بالطواف حول السور" وهو راكب على ظهر حمار يسير بخطوات غير سريعة، خمس ساعات ونصف الساعة، وحجمها بحسب تقديره يساوي حجم مدينة دمشق " [٤]، وجميع هذه الأسوار والأبراج مبنية من الطين عدى بعض الأبراج المبنية بالحجارة[٥] .

أما طرقات المدينة وشوارعها فهناك إشارات قليلة لدى بعض الرحالة ومنهم مانزوني الذي يذكر بأن طرقاتها " عريضة ومنتظمة بما فيه الكفاية، إذ أن المهندسين الصنعانين كانوا يعرفون

١ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن بورخاردت)، ص٣٧ ، مما يؤيد ذلك أن الرحالة النمساوي أدوارد جلازر حين وصوله إلى صنعاء قادماً من الحديدة من جهة الغرب، دخل من باب القاع وهذا يؤيد ما ذكره الرحالة مانزوني{ جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٤} .

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن بورخاردت)، ص٣٣٦ .

٣ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٣، ٢٠٤، ومن ثم فأن طول الأسوار الخارجية لمدينة صنعاء بأكملها ثلاثة عشر كيلوا متر و ٤٠٠ متر {مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٠} .

٤ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة نقلاً عن رحلة شابيرا ، ص١٩٢، ١٩٣.

٥ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٣، الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن يورخاردت)، ص٣٧١}، ولم نجد معلومات لدى الرحالة في هذا القرن تتحدث عن عرض هذه الأسوار .

الخط المستقيم بشكل جيد وتسمى الطرقات الأكثر عرضاً وأناقة بالمحجة، والطرقات الأقل عرضاً بالشوارع، أما تلك الصغيرة أي الدروب فتسمى (بالزقزقي)، والطرقات الصغيرة التي لا مخرج لها(الزقاق)، أما الساحات الأكثر أتساعاً وهي في الأغلب غير منتظمة الشكل فتسمى بالميادين "[١] ، وهذه الممرات أو الشوارع كلها مرصوفة ونظيفة[٢] .

أما قصور صنعاء ودورها ومنازلها فقد أسهب بعض الرحالة في وصفها وذكر محاسنها وجمالها ونظافتها وترتيبها، فالمنازل عالية ونظيفة ومتلاصقة ومطلية باللون الأبيض او بألوان مختلفة[٣]، وهذه تقريباً المبنية من الطين وغالباً ما تتكون من ستة إلى سبعة طوابق، ويستخدم في نوافذها رخام رقيق جداً بدلاً من الزجاج[٤]، وهناك الكثير من المنازل مبنية كلها من الحجارة أو يتم بناء الطوابق السفلى من الحجارة والعليا من الياجور، وفي جدران الغرف فتحات صغيرة – النوافذ– فيها مصاريع خشبية لإغلاقها – ليلاً أو في أيام الشتاء – وتوجد فيها المشربيات الكثيرة مزينة من داخلها بفتحات من قطع الزجاج الأصفر أو الأزرق، وفي الجزء الأعلى من الجدران هناك نوافذ مستديرة – القمريات – يتم تزويدها بقطع من الرخام الرقيق بدلاً من الزجاج، وعبر هذه النوافذ والمشربيات يدخل إلى الغرف ضوءاً خافتاً مريحاً[٥] ، وللمنازل المبنية بالحجارة

---

١ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٤.

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١، وعن سبب نظافة مدينة صنعاء يذكر لنا أحد المؤرخين اليمنيين في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري فيقول وأما نظافة هذه المدينة بأجملها فأمر يقصر عنه لسان الواصف، ويذكر أن من أسباب نظافتها ما يأخذه المزارعون من الفضلات من أسفل البيوت مما يخرج من بيوت الخلاء، يجمعونه سماد لمزارعهم، وكذلك ما يأخذه اليهود وغيرهم مما يتساقط من أعلاف الناس وحاجاتهم، فيقومون بكنسه ويستخدمونه بعد ذلك ليحرقون به في صناعة(المدر) أنية الفخار، أما روث الخيول والحمير والجمال والبقر والغنم فلا يدعونه يسقط على الأرض إلا وقد بادر له أطفال المساكين يستخدمونه وقيداً لمعايشهم{ الشهاري، علي بن عبد الله بن القاسم(ت: بعد ١١٧٦هـ)، وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الجليلة، ص٩٢–٩٥، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٣، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء}.

٣ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١.

٤ –المرجع نفسه نقلاً عن رحلة شابيرا، ص١٣٣.

٥ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن يورخاردت)، ص٣٧٠،٣٧١ .

شكل أنيق يساهم – في أناقتها – نوافذها الغنية ذات الزجاج الملون، ويتميز الطراز المعماري للهندسة الصنعانية بالبساطة والأناقة، فالأقواس الدائرية البيضاوية المزخرفة بدون مغالاة والمستعملة بالحد المناسب، تعكس الذوق العربي الرفيع[١]، أما منازل صنعاء من داخلها وهي على الأغلب بيوت العامة أو الطبقة الوسطى، والتي تتكون من ثلاثة طوابق أو أكثر، فهذه البيوت تشبه كثيراً بعضها البعض، فالدور الأول الباب الرئيسي عريض ينتهي بعقود بيضاوية – وغالباً يكون من الخشب– يتم الدخول إلى القاع – بلهجة أهل صنعاء الحجرة والصالة – التي تكون أرضيتها مرصوصة بألواح من الحجارة، وفي هذه الأرضية – القاع – توجد البئر[٢]، بئر الماء وله بكرة وحبل يتراوح طوله ما بين ٢٥– ٣٠ متر، وهذا هو عمق أبار صنعاء، وفي الدور الأول يوجد الإسطبلات(الحر) وهي واسعة وأرضيتها مظلمة وفيها مكان وضع العلف وهي حائط بارز مرتفع بمقدار سبعة سنتيمتر – تسمى عند أهل صنعاء الدكة– حيث يوضع بها علف الحيوانات وهناك حلقات من الحديد مثبتة في الجدران لربط الحيوانات، وفي الدور الأول يوجد بيت الطحين(غرفة المطحن)، وكذلك غرفة تموين الإسطبل (معدات الحيوانات) ، وغرفة المطحن تحتوي على القمح والبر ومعدات العجين، وهناك أيضا في الدور الأول غرفة التمويل – المخزن – وهي من أوسع الغرف في الدور الأول يوضع فيها كل أنواع الحبوب والبقولايات التي يحتاج إليها البيت، وأما الدور الثاني فهو مخصص للنساء والمطبخ(الديمة) وفيه منطقة مرتفعة بمقدار متر توضع عليها المواقد، وفيها الفرن(التنور بلهجة أهل صنعاء) المصنوع من الفخار، أما أدوات المطبخ فهي الجفنة – الاناء الكبير المصنوع من الحجر – والقدر والبرمة – لطهو اللحم – والمقلى من الحجارة أيضاً، وكذلك الملاعق المصنوعة من الخشب، أما الدور الثالث فهو مسكن الرجال، وفيه عدة غرف منها الديوان أو المفرج للاستقبال

١–مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ١٨٨، ١٨٩.

٢ – وما يذكره المؤرخ الشهاري المتوفى بعد سنة ١١٧٦هـ ان الأغلب على منازل صنعاء سواء كانت الدور الكبيرة أو الصغير إلا وبها بئراً أو أثنين أو ثلاث ينزع منها الماء إلى داخل مطابخ البيوت ونحوها وأغلب مائها عذب{الشهاري، وصف صنعاء، ص٨١} .

اليومي[١] ومن أشهر القصور والدور التي كان يسكنها الأئمة أو حاشيتهم أو كبار التجار أولاً دار الطواشي[٢]، والتي اكتسبت شهرتها من خلال عدد غرفها البالغة ٣٦٠ ثلاثمائة وستون غرفة، وقد تميزت بجمال زخارفها، وكتاباتها، وفخامة درجاتها، كما أن احواشها واسعة، وحدائقها كبيرة، وأحواض مياهها متسعة، وقد تم تدميرها[٣]، أمر بهدمها الحاج أحمد بن محمد الحيمي حين توليه زعامة صنعاء سنة ١٢٧٣هـ[٤] ومن دور صنعاء الكبيرة أيضا دار المحدادة، ودار نعمان، ودار صبرة الذي بناها الحاكم العثماني محمد باشا ذو الأصل العري، وبناها على الطراز العربي أخر أيام الوجود العثماني الأول في اليمن، وقد ظلت هذه الدار قائمة حتى سنة

---

١ –المصدر نفسه، ص١٨٩– ١٩٥.

٢ – هذه الدار كانت تقع غربي جامع الطواشي وجنوبي جامع ازدمر، وقد قام بعمارتها الإمام المنصور علي بن المهدي عباس المتوفى سنة ١٢٢٤هـ، وكان الانتهاء من بنائها سنة ١٢٠٠هـ، وقد أرخها الفقيه علي بن صالح العماري بثلاثين تاريخاً على حروف المعجم ، في قصيدة رائعة امتدح بها المنصور ولم يمض على هذه الدار إلا دون المائة سنة وهدمت{زبارة، نيل الوطر،ج٢، ١٤٢، مانزوني، رحالة إلى صنعاء، ص١٩٦، ١٤٢ } .

٣ –{مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ١٩٥}، وقد توهم الرحالة الايطالي عندما ذكر أن هذه الدار قد هدمت قبل خمسين عاماً أي منذ وصوله إلى صنعاء ١٨٧٧م/١٢٩٤هـ، وذلك على يد الصنعانيين الذي ثاروا ضد الإمام الطاغية الهادي بن المهدي عباس، وذلك لعدم معرفته بإحداث صنعاء، والصحيح أنها هدمت قبل وصوله بعشرين عاماً فقط هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يتولى بعد المهدي عباس ولداً له أسمه الهادي، وإنما المنصور علي بن المهدي عباس الذي هو نفسه قام بعمارة هذه الدار، وعليه يكون الأمر الوحيد الذي أصاب فيه الرحالة مانزوني في موضوع هدم هذه الدار أنه في أيام الهادي غالب بن محمد بن الناصر ولكن قبل عشرين سنة، ولم يكن للهادي تصرف في أي شيء، بل جميع أمور صنعاء إلى الحاج أحمد الحيمي الذي أمر بهدم الدار {الحيمي، الروض الباسم، ١٢٢، ١٣٧، ١٣٨ }.

٤ – لما أمر الحيمي بهدم هذه الدار كان يبيع ما قام بهدمه من الأحجار والأخشاب والأبواب والنوافذ، وكانت هذه الدار في غاية نهاية البناء والزخرفة، ولقد ذكر ان المنصور علي أشترى حين بناء الدار من الأصبغة أصفر وأحمر بمبلغ سبعين ألف قرش، أما تكاليف بناء الدار أيام المنصور علي فقد بلغت عشرة مائة الف – أي مليون– وسبعمائة وخمسين، وهذا مبلغ كبير في تلك الأيام{ الحيمي، الروض الباسم، ص١٣٨، مجهول، حوليات يمانية، ص٢٤٣} .

وصول الرحالة مانزوني ، وهدمت في السنة التي تليه، حيث أمر بهدمها الحاكم العثماني مصطفى عاصم باشا[١] .

ومن أهم البيوت المشاهدة والتي بقيت قائمة حتى سنة ١٨٨٠م/١٢٩٧هـ، دار الذهب[٢] وهي دار كبيرة وعالية جداً، تحتوي على بئر صناعي تجر ماهه الجمال والثيران لدرجة أن حوض من أحواضه يقع في الطابق الأخير من الدار، ومن ثم ينحدر الماء عبر مسار إلى الحديقة،[٣] ، ومن الدور أيضاً دار الجديد ويسكن بها السيد غالب – ولعله غالب بن محمد الملقب بالهادي، الذي كان إمام في مدة الفوضى، ودار خضير ويسكنه الوالي العثماني إسماعيل باشا، وبيت الحكومة [٤] .

---

١ – وقد وصف مانزوني هذه الدار بأنها تسعة طوابق وتحتوي على العديد من الشرفات، وبها الكثير من الكتابات العربية، وكان الطابق الأخير يتألف من غرفة واحدة فقط، تحتوي على رسومات وأواني للزهور بطراز روماني، وكانت درجات الدار عريضة، وجيدة البناء إلى الحد أنه يوجد في الدور السادس إسطبلا به حصان أبيض يتبع حاكم الثكنة {مانزون، زرحلة إلى صنعاء، ص ٩٦ } .

٢ – هي من الدور التي قام بعمارتها الإمام المتوكل أحمد بن علي بن المهدي عباس المتوفى ١٢٣٠هـ، وتم الانتهاء من عمارتها سنة ١٢٢٩هـ، ولا شك أنها من الدور الكبيرة والعظيمة{ مجهول، حوليات يمانية، ٢٤}، وممن سكن في هذه الدار من الأئمة الإمام علي بن المهدي عباس الذي تولى الحكم أربع مرات سكنها في سنة ١٢٦٤هـ،[الويسي، فرجة الهموم، ص٢٤٠٢٤١}، ويذكر لنا الرحالة نيبور الذي دخل صنعاء سنة ١٧٦٣م موضع قلعة صنعاء وأنها تقع على تل غمدان الشهير، وانه يوجد بداخلها قصران واحدهما يسمى دار الذهب، وهذا يتعارض مع ما ذكره صاحب حوليات يمانية من انه تم الانتهاء من عمارتها ١٢٣٠هـ، أذ بين هذا التاريخ وبين وفاة المهدي عباس الذي دخل نيبور صنعاء في عهده أحدى وأربعين عاماً ولعل هذه الدار كانت قائمة ثم هدمت ثم أمر بعمارتها من جديد المتوكل أحمد بن علي بن المهدي عباس{ الصايدي، المادة التاريخية في كتابات نيبور، ص٢٣٣ }.

٣ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٦.

٤ – المصدر نفسه، ص١٩٦، ١٩٧، وهناك من الدور مما لم يذكره الرحالة مانزوني، والتي كان يسكن بها الأئمة أيضاً، ولعل بعضها قد تهدم ولم يعد له وجود، ومن أمثلة هذه الدور دار البشائر في الروضة، ودار الصافية، ودار البونية في بئر العزب، وهذه الدور ممن شيدها الإمام المنصور علي بن المهدي عباس {مجهول، حوليات يمانية ، ص١٧}.

أمـا البسـاتين والحـدائق والمتنزهـات(المخـارف) والغابـات : فالحـديث عنهـا ووصـفها ذو شجون، ذلك لأنه لم يعد أي شيء منه موجود، وقد سبق في الوصف العام للمدينة أن ذكرنا بأن صنعاء كانت محاطة من كل الجهات بخضرة بديعية كانها حديقة واحدة[١] .

ومن أهم البساتين في صنعاء بستان (الطاووس) المتميز بمساحته الكبيرة والغني بأشجار الفاكهة والخضار والورود على أختلاف أنواعها، وهو مزروع بعناية وهو بمثابة مكان النقاء للمسئولين الأتراك، حيث يقصدونه وخاصة قبل الغداء للأكل منه ليكون ذلك بمثابة مقبلات[٢]، ومن أشهر البساتين أيضا بستان المتوكل[٣]، وبه قصر المتوكل وهو مشيد وسط صنعاء القديمة، وقد أعتبره مانزوني من أقسام صنعاء[٤] ، لكون مساحته كبيرة جداً[٥]، وهناك الكثير من البساتين التي لم يذكرها الرحالة الغربيين، كانت موجودة في هذه المدة[٦]، وهذه هي البساتين المشهورة، أما غير المشهورة فهي كثيرة والتي كانت تسمى أيضاً بالحدائق والتي أشار إليها

---

١ – رحلات ادوار جلازر إلى اليمن، ص١٣٤ ، ويصف لنا المؤرخ المجهول الذي عاصر الأحداث لمعظم هذا القرن أن بساتين صنعاء ما هي إلا جنات{ مجهول، حوليات يمانية، ص٢٤٣ }.

٢ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٨.

٣ – ويذكر لنا الرحالة نيبور الذي وصل إلى صنعاء ١٧٦٣م أنه يوجد في الجانب الغربي من المدينة نهر صغير – السائلة ألان – وعلى ضفافه يقع بستان المتوكل الذي بناه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد(ت:١٠٨٧هـ)، ثم بعد ذلك بنى فيه الإمام المهدي عباس قصراً جميلاً، وبستان المتوكل محاط بسور ترابي يتصل طرفاه بسور المدينة، وله أبراج كثيرة يبعد الواحد منها عن الأخر بمقدار ثلاثين خطوة {الصايدي، المادة التاريخية في كتابات{نيبور، ص٣٣١ }.

٤– وهذا يدل على كبر مساحة هذا البستان{مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٦٩} .

٥ – يصف لنا صاحب حوليات يمانية بستان المتوكل وما فيه في العام ١٢٦٧هـ فيقول" كان من الجنان الدنيوية فيه من الأشجار والعمائر والدور الشامخة إلتي ترى من مسيرة نصف يوم– أي القصور بطولها – والأكشاك – النوافذ الخشبية – الذي الكشك مثل المكان الذي يخرج من الدار والمنظر الصيني في أعلاها – أي أخر غرفة وهي المفرج المزينة بالزجاج – وكان فيه – البستان – شجرة السلوة مثل الصومعة"، وكانت هذا البستان مع الدور التي فيها قد قام القبائل الذي دخلوا صنعاء مع الإمام المنصور أحمد بن هاشم الويسي بخرابها وأخذ ما فيها{ حوليات يمانية، ص٢٠٠،{مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠١، ٢٠٢ }.

٦ –مثل بستان السلطان، وبستان المسك الذي دفن فيه الامام المهدي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن المهدي عباس بجانب والده، وكذلك بستان العلمي وغيرها من البساتين التي كانت تشتهر بها بئر العزب{ حوليات يمانية، ص٦٤، ٦٧، {الواسعي، فرجة الهموم، ص٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٩}.

الرحالة اولرش سيتزن – والتي لا زالت باقية إلى اليوم باسم المقاشم [١]، حيث قال أن الأهالي في صنعاء يتقنون فن العناية بالحدائق الرائعة والتي خصصت لها أماكن منخفضة بحيث يتمكن المارة من مشاهدتها، وعند دخول العثمانيين اليمن قاموا بإنشاء حديقة المستشفى العسكري، وهي حديقة مرتبة بشكل ممتاز وغنية بأشجار الفاكهة والخضار، وتوجد في هذه الحديقة ثلاثة أحواض كبيرة، يتم إيصال الماء إليها عن طريق جدول أو ساقية من الغيل الأسود الذي ينساب من جبال حدة[٢] ، هذا ما هو موجود داخل مدينة صنعاء، أما خارجها فمنذ أن يغادر المرء أسوارها يجد أمتداد الحقول والمزارع والغابات منها وإلى القرى أو المدن البعيدة التي حول صنعاء والتي تسمى بعضها بالمخارف بحيث أن المشاهد الذي يشاهد ذلك من قرية عصر المرتفعة عن صنعاء غرباً، أو من جبل نقم شرقاً ينشرح صدره لما يشاهده من الخضرة البديعة المنتشرة في سهل صنعاء وما حوالها[٣]، فهناك أولاً الحقول والغابات الموجودة بين صنعاء والروضة والتي يخرج إليها القادمون إلى صنعاء للصيد، حيث تنتشر بها الحجلان والأرانب بكميات هائلة، ومما يذكره مانزوني أنه خرج لصيد الايائل[٤] ، من جبل نقم[٥]، ثانياً توجد الحقول المزروعة والغابات التي تمتد إلى الشمال والشمال الغربي حتى وادي ظهر تكتظ

١ – هذه الحدائق لا زالت موجودة في كل حارة من حارات صنعاء الصغيرة تسمى بالمقاشم وتعني بزراعة البيعة – الكراث– ويسمى عند أهل اليمن قشمي، وكذلك الفجل وغيره،{الصايدي، اليمن في عيون الرحالة الأجانب(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١}.

٢ – المخارف مشتقة من فصل الخريف الذي تكثر فيه الفواكه بمختلف أنواعها، ومخارف أو منتزهات صنعاء كثيرة وأهما قرية حدة والروضة ووادي ظهر {الواسعي، فرجة الهموم، ص٥٨، ٥٩، الشهاري، وصف صنعاء، ص٩٦، ٩٧، مجهول، حوليات يمانية، ص٤٦٠}.

٣ –جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٣، ١٣٤، مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٦٢، ١٦٣ .

٤ – من الثديات والحيوانات ذوات الحوافر وهو الحيوان الوحيد الذي له عظام على رأسه يسمى القرون المتساقطة وهو يشبه الغزال في الحجم أو اكبر بقليل .

٥ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٦٤.

أيضاً هذه الغابات بالأرانب البرية والحجلان[١]، وعلى امتداد الطريق من صنعاء إلى مدينة عمران من اليمين والشمال وعلى امتداد النظر توجد حقول البن[٢] .

وأما المخارف والمنتزهات التي حول صنعاء، فهناك الروضة والتي تبعد عن صنعاء بمسافة ساعة ونصف(خمسة أميال) ، حيث يوجد بها أفضل الحدائق (البساتين) التي يمتلكها الصنعانيون الأغنياء[٣]، ولهذا تُعد الروضة بحق مدينة الحدائق[٤] .

وبعد الروضة هناك حدة ، حيث يوجد أسفل جبالها وادي غني بأشجار الجوز والمشمش ويسمى هذا السهل بسهل النميس، ثم يرتفع المرء إلى جبال حدة التي تظللها غابات شاسعة من أشجار الجوز والمشمش، وهناك توجد طاحونتان على سفح الجبل شيدهما الأتراك، متحركات حيث يقوم بتشغيلها جدول الماء المنساب من جبل حدة[٥]، ومن أهم المنتزهات وادي ظهر

---

١ –مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٧، ٢٠٨.

٢ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة رحلة شابيرا ، ص١٩٣.

٣ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٣ .

٤ –الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة بورخاردت)، ص٣٧٣، ويذكر لنا المؤرخ الواسعي أنواع الأعناب التي تشتهر بها مدينة الروضة وعددها أحدى وعشرون نوعاً أو أكثر وهي" أصابع زينب والإطراف والبياض وهو أحلاها – يسمى بالروضي – وبيض الحمام سمي بذلك ألان الحبة في حجمها تشبه بيض الحمام ، والجرشي، والجوفي، والحاتمي والحبشي والحسيني والدريج والدبيبني والرازقي، والزيتون والسيسبان والعذاري والعرقي بكسر العين والعيون والعاصمي والقزاقز والقوارير والقهمي" {الواسعي، فرجة الهموم، ص٥٨} ولم يبق من هذه الأنواع سوى ثلاثة أنواع منها البياض ولا يزال من أفضل أنواع الأعناب في الروضة إلى اليوم وإن كانت زراعته قلت بدرجة كبيرة .

٥ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٦٤، ٢٠٤، وقد اشتهرت حدة بعين(غيل) عظيمة أسمها عين حميس، ويتبعها سهل حميس الذي يسقي من هذه العين، ولعل مانزوني لم يجانبه الصواب عندما أسماه سهل النميس{ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٥٨}، ولا يزال الباحث يتذكر أيام ما كان يزور حدة وجبالها في الثمانيات من القرن المنصرم(العشرين) أيام كان طالباً في جامعة صنعاء مع بعض الزملاء، حيث كنا نصعد إحدى جبال حدة المطل على قرية حدة، ولا نرى أشعة الشمس من كثر أشجار الجوز والمشمش التي تظلل الطريق، والقرية، وكان غيل حدة المذكور سابقاً لا يزال يجري في قنوات ويسمع له خرير قوي ليسقي الأشجار والمزروعات المختلفة ليصل إلى أسفل الوادي، ولكن للأسف الشديد لم يعد اليوم أي شيء من ذلك سوى بعض الأشجار القليلة، وأما الغيل فقد جف، وأما الطاحوناتان فلا تزال أحداهما بآثارها باقية إلى اليوم.

الشهير الذي يوحد حوله منتجع صنعاء البديع[١]، وهو على بعد خمسة كيلوا متر من صنعاء، وهذا المنتجع تنتشر فيه البساتين وأشجار الفواكه، حيث تشتهر بالأعناب والليمون، والبرتقال والأرز[٢]، وهناك من القرى التي بها من المخارف حول صنعاء الكثير والكثير، ولكن لم يتسنى لهؤلاء الرحالة زيارتها، ومن ثم لم يذكروها[٣]، وهذه البساتين والحدائق التي داخل صنعاء وخارجها يزرع بها أنواع الفواكه والخضروات الكثير والكثير وسوف نذكر البعض منها مما لم يتم ذكره سابقاً [٤] .

ثالثاً المشاهدات الاجتماعية(السكان – الطبقات الاجتماعية – الزواج – الأسرة – الأطعمة – الألبسة)

يتفاوت عدد سكان صنعاء في هذه المدة بحسب تقديرات الرحالة الذين زاروها والذي كانت زيارتهم لها في سنوات متقاربة لا تتعدى العقد من الزمان، فالرحالة مانزوني الايطالي الذي وصل صنعاء في العام ١٨٧٧م، يقدر عدد سكان صنعاء بثمانية عشر ألف إلى عشرين ألف عربي – أي يمني – والأتراك ثلاثة ألاف تركي، واليهود ألف وسبعمائة، وكل ذلك تقريبي، لان

---

١ – جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٣ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٥، وهذا الوادي كبير بل هو نهر– كان لا يزال الوادي إلى ما قبل أكثر من سبعين سنة تجري فيه المياه طوال العام – ويقصد لما فيه من الفواكه والثمار وألوان الإزهار وتغريد الأطيار، والبيوت كلها مشرفة على الماء والبساتين على اليمين والشمال{ الواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٥٩}.

٣ – نذكر البعض منها اختصارا حتى لا نطيل مثل قرية سناع الكثيرة الأشجار، وبيت زبطان، وعصر على مسافة نصف ساعة من صنعاء وهما قريتان عصر العليا وعصر السفلى، وتشتهران بالتين والمشمش، وفيها غيل عظيم، ذكرها الرحالة أدوارد جلازر، حين وصوله إلى صنعاء، وتحت هذا الغيل توجد مصبنة عصر – للصابون– كذلك قرية القابل وثقبان وغضران وكلها تشتهر بأصناف الفواكه كالعنب وغيرها {جلازر، رحلات ادوارد، ص١٣٣، لواسعي، فرجة الهموم والحزن، ص٥٩}.

٤ – مثل الرمان والتفاح والسفرجل والاجاص والفرسك، ومن أنواع العنب نوع يسمى المسكي، ومن الخضار الفول واللوبياء والقنبط والفلفل الأحمر والأخضر والطماط والبطاط الحلوة والعادية والجز والبصل والثوم والبامية والباذنجان واللفت والفجل والهندباء والخس والكرنب والبقدونس والكرفس والرشاد والسبانخ والقرع والبطيخ واليقطين والخيار والحبوب والملوخية، ومن الورود الإزهار والياسمين وشقائق النعمان والبردقوش والحيف والنرجس والورد والبنفسج والقرنفل والزعتر .... الخ {مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٩ }.

الموضوع وبحسب قوله صعب كونه لا توجد فيه أية إحصائيات أو سجلات[١] ، وأما الرحالة شابيرا الذي دخل صنعاء في العام ١٨٧٩م – أي بعد سنتين من دخول مانزوني– فيقدر عدد سكان فيها ما بين مائة ألف إلى ما مائة وخمسين الف، وعدد الأتراك أربعة ألاف رجل، ثم يذكر لنا عدد منازل اليهود بأنها ألف وأربعمائة منزل[٢] ، لكنه لم يحدد لنا أعدادهم، بينما يحدد لنا الرحالة لود فيج اشترس الذي وصل صنعاء في العام ١٨٨١م عدد سكانها ما بين خمسة وعشرون إلف إلى ثلاثين ألف، وعدد الجنود الأتراك ما بين ستة عشر ألف إلى تسعة عشر ألف[٣] ، ولم يذكر لنا عدد اليهود ولا منازلهم، وأخيراً الرحالة هرمن بور خاردت الواصل صنعاء في العام ١٨٩١م، حيث قدر عدد سكانها بخمسين ألف، وعدد اليهود في حيهم ما بين ستة ألاف إلى سبعة ألاف يهودي[٤]، ومن خلال ما سبق نرى أن أكثر هذه التقديرات غير سليمة ولا مطابقة للواقع، لان مدة أقامتهم في صنعاء لم تكن كافية لتقدير عدد السكان، ولكون هذه الأعداد لا تتناسب مع حجم المدينة، كما أن فترة الفوضى بصنعاء كانت قد انتهت مع دخول الأتراك، ولهذا نرجح أن عدد سكان صنعاء في تلك المدة لا يقل عن مائة ألف ولا يزيد عن مائة وخمسون ألف بما في ذلك الأتراك واليهود.

وينقسم المجتمع أي الطبقات الاجتماعية في صنعاء بحسب تصنيف مانزوني الذي دخل صنعاء حال وصول الأتراك إليها إلى طبقتين وهما العرب – أي اليمنيين – والأتراك الذين بيدهم السلطة، وكان لهم النصر على اليمنيين، ثم يقسم مانزوني الطبقة العربية – اليمنية – إلى أربعة أقسام وهي :

---

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٠٧ .

٢ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة نقلاً عن رحلة شابيرا، ص١٩٣ .

٣ – المرجع نفسه، الرحالة لود فيج اشترس، ص١٩٦، ١٩٧ .

٤ – المرجع نفسه، رحلة هرمن بور خاردت، ص٣٧٠، ٣٧١ .

الطبقة الأولى : تتكون من القضاة والفقهاء والعلماء ورجال القانون والذين لهم اعتبار وقبول عاليين بين أفراد المجتمع، وذلك لما يتحلون به من صفات خلقية وعلمية، ومن ضمن هؤلاء خطباء صلاة الجمعة في المساجد، وأئمة المساجد .

الطبقة الثانية : وهم التجار والأغنياء وأصحاب المحلات التجارية وأعدادهم كبيرة في المدن، وقليل فيما حول صنعاء .

الطبقة الثالثة : هم الحرفيون – أصحاب الحرف المختلفة – وكثير منهم لهم وجود داخل أسواق صنعاء، وكل مهنة أو حرفة من هذه الحرف تُكونّ جماعة أو فرقة لها مسئول أو رئيس، ثم في الأخير كل تلك الجماعات تتبع ما يسمى (شيخ السوق)، ويتبع هذه الطبقة الكثير من الخدم .

الطبقة الرابعة : تتكون من المزارعين وبعض العمال الذين يقومون بفلاحة الأرض، وهؤلاء هم الأكثر عدداً من غيرهم،[١].

أما الطبقات الاجتماعية خارج صنعاء وما حولها فتنقسم بحسب رأي الرحالة أدوارد جلازر الذي زار صنعاء وما حولها من المناطق والقبائل إلى أربعة أقسام وهي :

- السادة أو الإشراف وهم من أبناء علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء .
- القبائل الذين ينتمون بصفة عامة إلى القبائل العربية اليمنية الأصيلة وهم مقاتلون ويعتبرون أنفسهم وإن كانوا يسكنون مساكن بائسة أعلى مقاماً من العرب – اليمنيين – الذي يسكنون المدن ويعتمدون على التجارة والحرف اليدوية– ويرأس القبيلة الشيخ .
- حدد جلازر المشايخ كطبقة وحدها – بينما الشيخ مع قبيلته تُعد طبقة واحدة .

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، جلازر، رحلات ادوارد، ص٤٠، ٤١ .

- الخدم أو الخدامون – وهم العمال – وفي اليمن لا يطلق عليه خادم بل شاقي كمفرد والجمع شقه، ولا يمكن لأي فرد كان من القبيلة أو الشيخ أن يطلق على الشاقي خادم أو خدام ولو عمل ذلك لقام هذا العامل بطعن سيده بالجنبية[١] .

أما تقسيم القبيلة وسلمها الاجتماعي فهي أربعة أقسام أيضا وهي السيد – ولعله رأس المشيخة في القبيلة، ثم النقيب وهو الشيخ المتميز، ويأتي من وسط عائلة المشيخة، ثم العاقل وهو الشيخ الصغير، ثم القبيلي(أفراد القبيلة)، ثم المزين[٢]، ومن أهم الجوانب الاجتماعية التي ركز عليها بعض الرحالة الزواج وما يترتب عليه بعد ذلك من تكوين أسرة، حيث أشار مانزوني الايطالي إلى أن سن الزواج في صنعاء وبحسب ما هو موجود في قانون الشريعة الإسلامية للرجال أو للشباب الثامنة عشر عاماً، وللنساء أو البنات سن التاسعة، ولكن بشرط أن يقسموا بالله أنهم بالغون وفي هذا المجال توجد للأب سلطة مطلقة في تزويج أولاده القاصرون – الصغار – متى أراد ذلك دون أن يستطيع هؤلاء الأبناء الاعتراض عليه، أما الأولاد الراشدون فلا يمكن أن يزوجوا إلا بموافقتهم[٣].

أن العادات الشرقية وبالأخص عادات العرب – اليمنيين – لم تتغير أبداً، فاحترام التقاليد والثبوت القائم للمبادئ الفكرية والدينية، تشكل دائماً ذلك الطباع المتميز للحضارة الإسلامية[٤].

وبالنسبة للزواج في المدينة وما يصاحبه من احتفالات فالمعومات عن ذلك قليلة، كون الرحالة الذين زاروا صنعاء لم يوضحوا أي شيء عنه سوى الرحالة الايطالي مانزوني الذي أشار إلى ذلك في عجالة، ففي صنعاء حيث لا يمكن للرجال أن يشاهدوا النساء، فمن العادة أن

---

١ – جلازر، رحلات ادوارد، ٣٥ .

٢ – جلازر، رحلات ادوارد، ص٣٥–٣٦، المزين في القبيلة والمجتمع اليمني بحسب الأعراف هو الذي يقوم بخدمة أفراد القبيلة في مناسبات الإعراس والمأتم، كما يعمل كحلاق – وهذا كان في الماضي– لأفراد القبيلة، وفي بعض الأحيان حجام.

٣ – جلازر، رحلات ادوارد، ص٢٤٨ .

٤ – المرجع نفسه، ص٤٩ .

أم العريس أو أخواته هن من يشاهدن العروسة وينقلن إلى العريس أوصافها، ثم بعد ذلك يقام العقد بين العريس وأهل العروسة من الرجال، ثم تقام الاحتفالات بسرعة بعد الانتهاء من العقد، وهذه الاحتفالات أكثر روعة وأقل ضجيجاً من تلك التي تحدث عند القبائل، بينما العروسة ينتظرها احتفال كبير في مكان النساء لدى أهل العريس، والذي بطبيعة الحال لا يشارك العريس فيه بل يذهب مع أصدقائه وأهله إلى المسجد، ولعل ذلك حال صلاة الظهر، وعند عودته تقام المأدبة(طعام الغداء) التي يقيمها على شرف المدعوين، وبعد الغداء يدخل العريس إلى المكان المخصص للنساء ومن ثم يقوم برفع الحجاب(الطرحة) ويرى وجه زوجته لأول مرة، وفي تلك اللحظة الحاسمة إما أن تتحقق أحلامه عن جمال زوجته أو يحدث العكس تماماً[١] .

أما النظام الأسري في صنعاء – بحسب مشاهدات مانزوني – فنجد أنه يتميز بالروعة والنقاء، الأمر الذي يعطي الصورة المثلى للحضارة الإسلامية عامة والإرث الحضاري اليمني خاصة، والمستند على الأعراف القبلية السامية، فالأسرة خصوصاً هي القلب النابض المحافظ على نظام المجتمع، فالوالد – الأب – هو رئيس الأسرة الأعظم وتنطبق سلطته المطلقة على زوجته أو زوجاته، وعلى أولاده ، فله كل الولاء والطاعة، وله كل التبجيل والاحترام، وهذا ينطبق على كل الأسر اليمنية في صنعاء الغنية والفقيرة عل السواء[٢] والزوجة أو العروسة تكن لزوجها كل الاحترام، ولا تعامله كما لو كانوا هو وهي سواء – مثلما هو موجود في المجتمعات الغربية – وفي أغلب الأوقات تبقى الزوجة واقفة أمام زوجها، وتناديه باسمه(سيدي)، وهي بذلك تخصه بعناية فائقة صغيرة كانت أو كبيرة، والذي في أوروبا لا يختص بها إلا الخدم[٣]، وكذلك الأولاد يحصل منهم الأب على نفس التقدير والاحترام، فهم يقبلون يده تعبيراً عن احترامهم التام له، ولا يجلسون في حضوره إلا بأذنه، ولا يتحدثون إلا بأذنه، ولا يدخنون ولا يشربون القهوة في

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٦٦ .

٢ – المرجع نفسه، ص٤٩ .

٣ – المرجع نفسه، ص٤٩ .

حضوره[١] أما الزوجة إلام – فهي تلقى نفس الاحترام والتقدير من أولادها، ويحبونها حباً جما، وخاصة في تلك الأسر، التي لا توجد فيها سوى زوجة واحدة، وأما بالنسبة للعلاقة فيما بين الأبناء بعضهم البعض، فيجب على الأصغر منهم احترام الأكبر وطاعته لأنه يشغل المكانة الثانية في العائلة ويصبح ربها بعد موت والده[٢]، أما بالنسبة لكبار السن في العائلة – الجد أو الجدة – فلهم احترام كبير وتقدير عالي، حيث لهم منزلة رفيعة في قلوب الباقين تقارب ذلك الاحترام المقدم لإبائهم[٣]، هذا وأن أهم ما يميز الأسرة والمجتمع بصنعاء، أن هذا المجتمع يشكل بالنسبة لهم عائلة كبيرة واحدة والقرابة المشتركة بين إفرادها تجتمع تحت ظل النظام الأبوي والقبلي[٤]، وعادة ما يأكل الرجل رب الأسرة مع أفراد أسرته جميعاً، أما عند الطبقات المرموقة ذات الأسر الكبيرة، فلا يأكل الرجال مع نسائهم أو أولادهم[٥]، وبالنسبة للنظام المعيشي اليومي (توزيع الأوقات في اليوم والليلة) عند أهل صنعاء مهم، فعادة ما يستيقظون في الصباح الباكر – الفجر – كسائر المسلمين لأداء صلاة الفجر، ومتى قاموا للصلاة يتناولون طعام الفطور في منازلهم، الخبز والقهوة والزبدة ، ثم يذهب كل واحد إلى عمله، ثم في الظهر تقام الصلاة جماعة في المسجد، بعدها يعود كلً إلى منزله لتناول طعام الغداء، وبعد الغداء الكيف٠ المقيل – إذ عادة ما يبق كل واحد مستلقي على الفراش في حالة سكون جسدي وفكري تام، وفي وضعية مسترخية وممتعة في حالة تشبه السبات، وهذه هي فترة القيلولة، ويستمر ذلك لبعض ساعات، بعدها يدخنون المداعة(النرجيلة)، ويشربون القهوة حتى صلاة العصر، حيث يصلي الجميع جماعة في السجد، ثم ينصرف كل واحد إلى عمله، ثم بعد ذلك تقام صلاة

١ – المرجع نفسنه، ص٥٠ .
٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٠ .
٣ – المرجع نفسه ، ص٢٥٠ .
٤ – المرجع نفسه ، ص٢٥١ .
٥ – المرجع نفسه ، ص٢٥١ .

المغرب والعشاء وجوباً في المسجد، يرجع بعدها الجميع إلى منازلهم لتناول وجبة العشاء، ثم يخلدون إلى النوم مابين الساعة الثامنة والتاسعة، وقليل هم الذين يخرجون بعد العشاء، بعض التجار فقط الذين يرجعون إلى دكاكينهم في السوق[١]، ولا يستخدم اليمنيين الأسرة في نومهم بل يكدسون بعض الفرش، ويضعونها على سجادة أو حصيرة ، وينامون ليلاً في أفضل غرف المنزل، إذ لا يخصصون غرفاً معينة للنوم، ثم في الصباح يقومون برفع الفرش ووضعها في مخازن خاصة بها، بحيث تصبح تلك الغرفة التي كانوا ينامون فيها صالحة لكل الاستخدامات التي يراها صاحب البيت أو زوجته، ويبدوا أن أهل صنعاء اليمنيين يتحكمون في النوم كيفما أرادوا، فهم ما يلبثون أن يستلقوا على الفرش، واضعين رؤوسهم على الوسائد حتى يغطون سريعاً في نوم عميق[٢] ، ولعل من أسباب ذلك – وهذا ما لم يدركه مانزوني – أن اليمنيين في صنعاء عقولهم مليئة بكل الخواطر والأفكار الدينية في أي شيء يشرعون به نراهم يقولون (بسم الله)، وعند الانتهاء منه يرددون (الحمد لله)، وأحاديثهم لا تخلو من ترديد كلمة والله، وبالله، ورأس النبي، ورب البيت، ورب الكعبة، وهم لا يقرون وخصوصاً عامة الشعب إلا بإرادة الله، لذلك يرددون دائماً(أن شاء الله) (ما شاء الله)، وهي من العبرات الأكثر ترددٍ بينهم، واليمني في صنعاء لا يقول لدي رغبة في الأكل او أني جائع، ولكن يقول أن شاء الله أشتهي الأكل أو إن شاء الله أجوع، أما عبارة (انا مسكين) فهي الوحيدة التي لا يقرنها بـــ(أن شاء الله)[٣] .

---

١ – المرجع نفسه ، ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٠، هذا ولم يفهم الرحالة الايطالي سبب سرعة نوم أهل صنعاء، أذ أنه يستغرب كيف يتحكمون في نومهم، ولم يفهم أن السلوك العملي واليومي لهم، وأدائهم للصلوات جميعها وفي أوقاتها وفي المسجد، وكذلك قيامهم جميعاً بأعمالهم على الوجه المطلوب، كل ذلك ينعكس عليهم، فيسبب لهم ارتياحا نفسياً، إضافة إلى ذلك بعد أن يعود كل منهم من عمله وهو مرهق نوعاً ما، كل ذلك يؤدي إلى سرعة استغراقهم في النوم .

٣ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٧ .

أما نساء مدينة صنعاء والمدن بشكل عام، فيتميزن بأنهن جميلات جداً، وبشرتهن أكثر بياضاً من نساء القبائل حول صنعاء، وهن أكثر النساء خدمة لأزواجهن من غيرهن، وتمتاز نساء كبار القوم بثراء وتنوع ثيابهن، ولكن هذا فقط في منازلهن، أما الملاءة – الحجاب – عند الخروج فهي تغطي ملابس الأغنياء من النساء كما تغطي ملابس نساء الفقراء، ولهذا من الصعب جداً التكهن ما إذا كانت هذه الملاءة تخفي تحتها امرأة غنية أم فقيرة[١]، هذا وفي كل دار من دور صنعاء شقة أو مكان مخصص للنساء مفصولة تماماً عن تلك التي يسكنها الرجال، ويوجد داخل مكان النساء انضباط شديد وحشمة صارمة، حيث تسكن زوجة صاحب البيت ووالدته وأخواته وبناته، بحيث أن هذا المكان يشبه مكان إقامة الراهبات في أوروبا– وهذا الكلام مبالغ فيه – وفي هذا المكان تكتسب البنات والأولاد حب الله وحب الوالدة والوالد وغيرهم، ويتعلمون الأخلاق الحميدة[٢]، وهذا باعتبار أن الأسرة هي المحضن الأول للتربية السوية، ومن أهم ما ذكره مانزوني عن وضع النساء داخل بيوتهن في هذه المدة قوله " لا تعتبر نساء المدينة عزلتهن على أنها تعاسة، فهن يولدن في الحريم، ويكبرن فيه إلى أن يصبحن صبايا، ومن ثم يتزوجن، وينتقلن إلى حريم آخر لا يختلف عن السابق فالحياة في الحريم هي حياة النساء المسلمات"[٣]، ثم يوضح مانزوني بأن هؤلاء النساء لهن الحرية في الخروج والزيارات لبعضهن البعض متى ما أردن ذلك ولكن بضوابط الحجاب، وقد تمتد هذه الزيارات إلى يوم كامل[٤]، ونساء صنعاء نساء وفيات وزوجات صالحات عموماً ولا يوجد عكس ذلك إلا في القليل النادر، ولا تحصل النساء في صنعاء على أي تعليم، فلا يجدن الكتابة ولا القراءة، ولكن يتقن أعمال المطبخ والحياكة والتطريز، وليس لديهن اهتمام إلا بالمنزل وتحضير الطعام، وما تبقى من

---

١ – المرجع نفسه، ص٢٦٠ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٦٢ .

٣ – المرجع نفسه ، ص٢٦٣ .

٤ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٦٣، ٢٦٤.

الوقت يكون في تزيين وتجميل أنفسهن بهدف إثارة وأعجاب أزواجهن، وكذلك في أداء الصلوات[١] .

أما الأطعمة فإن أهل صنعاء يستهلكون العديد من المأكولات، ومن ذلك كميات كبيرة من الدجاج والحمام الداجن، ومن البيض، وينال إعجابهم الحليب المخمر، وتستخدم المطيبات والتوابل بكميات كبيرة في جميع أطعمتهم بما في ذلك الحساء، ويبقى الخبز هو أساس التغذية عندهم، وفي منازل الأثرياء يكون المرق محضراً من الدجاج والحمام[٢]، وعند العامة من لحم الخروف، ومن طعام الأغنياء المشاوي والتي تطهى في الأفران وفي بعض الأحيان يتم شواء خروف كامل ويكون محشو بالأرز والزبيب واللوز، ويطلقون عليه اسم الحنيذ، ويتم طبخ الدجاج إما مشوية في الفرن أو في القدر مع الزبدة، ومن طعامهم الكبيبات – الكباب – المخلوطة بالبصل الأخضر والملح والتوابل، ولهم أطباق عديدة يكون فيها اللحم إما قطع كبيرة أو مفرومة، وتوضع في المائدة مع الخضار والبقوليات وعصير الزيتون الأخضر أو العنب غير الناضج، ويذكر لنا مانزوني بعض الأطعمة على أنها من الحلويات، بينما هي من أساسيات المائدة في صنعاء مثل السبايا وبنت الصحن وكذلك السوسي المصنوعة من الخبز والبيض، وكذلك المعصوب– المعصوبي– وهي قطع من الخبز يتم طهوها مع الزبدة، ويأكل أهل صنعاء وخاصة من العامة الحلبة كثيراً[٣]، وفي شهر رمضان كانت وجبة الشربة هي الأهم، ويكون تقديم المائدة وترتيبها عند أهل صنعاء على النحو التالي : أول شيء هناك الحساء ، ثم اللحم مع الخضار، ثم الحلويات، يليها مرة أخرى اللحم مع الخضار، ثم أخيراً الأرز[٤]، وأما بالنسبة للشراب فإن اليمنيين في صنعاء لا يشربون شيئاً سوى الماء، وكذلك القهوة – والتي عادة ما يتم

---

١ – المرجع نفسه ، ص٢٦٤، ٢٦٥ .

٢ – كان ذلك أيام ما كان الدجاج طبيعي وليس دجاج المزارع كما هو الحال اليوم .

٣ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١ .

٤ – المرجع نفسه، ٢٦١، ٢٦٢ ، وقد اختفى هذا التسلسل في تقديم الوجبات في هذا العصر ولم يعد يوجد منه شيء..

تحضيرها من قشر البن– وإما القهوة عند الأتراك فيتم تحضيرها من حبوب البن – اللب – بعد أن يتم تحميصها حتى تصبح لونها بنياً ذهبياً، ثم تطحن حتى يكون المسحوق ناعم جداً، ومن ثم توضع على النار، والتي تبقى في منازلهم مشتعلة دائماً وعلى قدر كبير من المياه، ومنه يتم تحضير القهوة[١]، وبالنسبة لوصف المائدة فقد حافظ اليمنيون في صنعاء على تلك العادات والتقاليد المتوارثة، والتي تجعل المائدة تتصف بالبساطة والمتانة، حيث تتكون من صينية كبيرة – صحن أو إناء مفتوح– من الحديد أو النحاس أو حتى الفضة، يصل قطرها إلى متر ونصف أو أقل تقريباً، توضع على كرسي من خشب، لا يتعدى ارتفاعه ثلاثة سنتيمتر، ويجلس الجميع على حول هذه السفرة، إما على وسائد أو على السجاد، وتوضع أمامهم داخل تلك السفرة قطع من الخبز وملاعق من الخشب فقط، وما دون ذلك لا يوجد لا سكاكين ولا شوكات ولا أطباق من الخزف، أما أواني الشرب فمن الفخار، والذي تسمح برشح الماء مما يجعله بارداً جداً[٢] .

ومن المهم هنا أن نذكر ان المدخنين في تلك الأيام كان يطلق عليهم لقب حشاشين وهو لفظ سيء إلى حد اعتباره شتيمة[٣] .

أما الملابس فبالنسبة للرجال في صنعاء يذكر لنا جلازر أنهم يرتدون نوعاً من الملابس لونه الاصلي أبيض ولكنه سريعا ما يتشرب بلون النيل الأزرق، ويتم تثبيته بحزام إلى الخصر[٤]، وهذا تقريباً هو القميص ذو الأكمام الواسعة، إضافة إلى أنه فضفاض وطويل حتى الركبة، وهو من القطن ذو اللون الأزرق، وهذا لعامة الناس، أمام الأغنياء فقمصانهم من التيل الأبيض الناعم جداٍ، ويضع العامة فوطة فوق القميص وحول الخصر، أما فوطة الأغنياء فتكون من الحرير ومتعددة الألوان، ويتم شد الفوطة بحزام طويل جداً لعله من القماش، ومن فوق هذا

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٩٢، ٢٩٣ .

٢ – المرجع نفسه ، ص٢٩٥، ٢٩٦ .

٣ – المرجع نفسه ، ص٢٩٥، ٢٩٦ .

٤ – جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص٢٣٢ .

الحزام، حزام آخر من الجلد، ويتم وضع الخنجر(الجنبية) فيه[١]، وإما الرأس فيتم تغطيته بالطربوش – وهذا تقريباً للأتراك، أو الطاقية – وهي غطاء الرأس من الصوف أو القطن– المؤلفة من العديد من طبقات القطن الملون، ثم يلف من حولها حزام طويل لعله من القماش أيضا– شبيه بربطة العنق – ثم يتشابك بشكل حلزوني على الجبين، ليشكل بعد ذلك ما يسمى بالعمامة، وتختلف العمائم الخاصة بالقضاة والأئمة عن عمائم التجار، ثم عن عمائم عامة الأهالي[٢] .

أما ملابس النساء فهي زرقاء عبارة عن سراويل ضيقة من الأسفل، ومطرزة بخيوط ذهبية أو فضية – تشبه الذهب أو الفضة– وكذلك سترة (جاكت)، وغطاء الرأس ذات الثنايا الكثيرة، وفي صنعاء أيضاً تضع النساء على أجسمهن رداء مع غطاء للوجه ذا لون أحمر[٣]، وتلبس النساء أيضاً القميص المصنوع من التيل الناعم، ويكون لونه إما أبيض أو زهري، أو ازرق، أو اصفر فاتح، وهو عند نساء الأغنياء مطرز بالحرير والذهب، ومن الإمام ينقش بزخارف لماعة، وهذا القميص ذو أكمام واسعة جداً ومريحة، وهو يغطي جسد المرأة من الأكتاف وحتى الركبة، وتحت هذا القميص تلبس النساء السروال المشدود من عند الخصر، ومن ثم يضيق نزولاً نحو القدم، وتكون حافته غنية بالتطريز[٤] .

وأهل صنعاء يتميزون بالنظافة جداً، حيث وللصلوات الخمس الإلزامية – المفروضة– التي يسبقها الطهور – الوضوء – أثر كبير في نظافتهم ونظافة ملابسهم، إضافة إلى ذلك فهم

---

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٢، ٢٥٤ ، ٢٥٩، الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة زيج جفريد لانجر)، ص٢١٦ .

٢ – عمائم القضاة والأئمة من القماش الموصلي الخفيف الأبيض المهذب أحياناً بالذهب، وأما التجار فمن الحرير الملون، وأما عامة الناس فمن القماش القطني العادي، هذا ويمكن خلع العمامة عن الرأس، ثم وضعها من جديد دون أن يتم نقضها، أو فك رباطها { رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٤ } .

٣ – جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص٢٣٢ .

٤ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٨، ٢٥٩ .

يرتادون الحمامات كثيراً– الحمام البلدي البخاري– وكما أنهم يغسلون أفواههم مرات عديدة في اليوم، فتصبح أسنانهم جميلة وذات بياض لأنهم يستخدمون السواك كفرشاة للأسنان[١].

رابعاً المشاهدات الاقتصادية(الزراعة – التجارة – الصناعة – الأسواق)

لاشك أن أهالي صنعاء كان لديهم اهتمام خاص بالزراعة ومن ذلك ما سبق الإشارة إليه أثناء الحديث عن البساتين والحدائق والغابات مثل زراعة الفواكه والخضروات وغيرها، وتم الإشارة أيضا إلى تلك الحقول الزراعية التي تمتد من خارج أسوار صنعاء وحتى الروضة وإلى حدة ووادي ظهر[٢]، ولا شك أن من بين مزروعات تلك الحقول، زراعة الحبوب المختلفة من بر وشعير وذرة وغيرها، وإن كان الرحالة لم يذكروا لنا ذلك إلا في القليل النادر، وقد أوضح مانزوني أن الطبقة الرابعة من سكان صنعاء هم المزارعون[٣]، ولكنه لم يذكر لنا تفاصيل عن ذلك سوى توضيحه لبعض الأدوات التي يستخدمها اليمنيون في زراعة الأرض أو العمل في البساتين منها المعمول ويسمى(المفرس)، ومنجل مسنن ويسمى بالمنشار[٤] " وفي حدائق صنعاء تزرع أنواع معينة من النباتات يعتني بها اعتناء خاص، ويسمى مزارعوها بالقشامين ... وهذه النباتات ذات روائح زكية"[٥]، ومن أهم ما يزرعه اليمنيون في صنعاء شجرة البن، وقد سبق الإشارة إلى ان الطريق من صنعاء إلى عمران تنتشر على جوانبه من اليمين والشمال زراعة حقوق البن، وكذلك حول صنعاء في كل من حراز ومناخة يهتم أهالي عرب الجبال في تلك المناطق اهتمام كبير بزراعة البن، ليتم بعد ذلك تصديره إلى ميناء المخا " ولأشجار البن

---

١ – المرجع نفسه، ص٢٥٥ .

٢ – المرجع نفسه، ص٢٠٧ .

٣ – المرجع نفسه، ص٢٠٧ .

٤ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء ، ص٢٠٠، وقد ذكر آلات زراعية آخري مثل الملئف وهو على حد قوله فأس عريض جداً، ولم نجد له تفسير ولكن لعله بالتأكيد الملقف، حيث لم يستطع نطق القاف، وهي اليوم تسمى المجرفة، حيث يجرف بها التراب بعد خد الأرض أو حرثها، وكذلك آلة أخرى تسمى(مسب الحديد) .

٥ – جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص١٣٠

منظراً جميلاً على المنحدرات أو بالأصح على الشعاب التي تترعرع فيها، وكم ترتاح العين وهي تلقي نظرها على ذلك الاخضرار الداكن الندي الذي لا تكاد أشعة الشمس تنفذ من خلاله، فإذا ما سار المرء على امتداد خط الطريق ووصل إلى القمة وجلس لينعش نفسه بفنجان صغير من القشر – قهوة القشر – فأنه سوف يشعر في هذا المكان الممتلئ بأريج الأشجار أنه يشاهد أمامه قطعة من العربية السعيدة " [١] .

وأما التجارة في صنعاء فتكاد تكون زاخرة ونشيطة، حيث يدخل إليها كل ما يحتاج المرء من مستلزمات أو ملابس أو أطعمة ... الخ، وبالإضافة إلى تجار صنعاء المحليين اليمنيين، فهناك تجار يونانيين وهنود، حيث ولديهم دكاكين مليئة بكل ما يحتاجه المتسوق، حيث تقع دكاكينهم شرق سوق المدينة، وفيها أعواد الثقاب " والسجائر وعلب السردين والشموع وملمع الأحذية واجبان والأرز، والبطاط والزيتون والصابون والجوز والبن واللوز والمخللات وجميع أنواع الكحول نبيذ وبيرة– طبعاً لغير المسلمين– والبسكويت وحلويات ومأكولات آخري وجميع أنواع الملابس الداخلية " [٢] ، وفي أماكن أخرى تباع المظلات والعصي والشمعدانات والمصابيح النفطية والقوارير والكؤوس وأدوات المائدة والصحون الفخارية والمرايا، وعلى العموم يجد الأهالي كل ما يحتاجون إليه وكذلك كل ما يحتاجه الأتراك وعائلاتهم، هذا وأعداد التجار في صنعاء كثيرون، بحيث أن مانزوني أعتبرهم أصحاب الطبقة الثانية في المجتمع الصنعاني[٣]، وبما أن صنعاء عاصمة اليمن ويقيم بها مختلف الشرائح الاجتماعية من السكان الأصليين، ومن الوافدين، فإن البضائع التي كانت تصل إليها – عبر القوافل – من داخل اليمن، وكذلك من خارجها عبر الموانى المختلفة .

---

١ –المرجع نفسه، ١٠٨.

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٥٢.

٣ – المرجع نفسه، ص٢٥٣، ٢٤٦ .

ومن أنواع السلع التي كانت تصل إلى صنعاء الملح، حيث كان تصل قوافل من مأرب محملة بهذه السلعة، وتعود ببعض البضائع، ولكن في الأغلب تعود فاضية، ومن ثم متى ما أراد سائح أن يذهب إلى هناك فيرتحل مع هذه القوافل[١]، ومن عجيب ما ذكره بعض الرحالة حديثه عن تجارة وبيع الأسماك من المناطق الشمالية إلى صنعاء، حيث لا يوجد هناك بحر، ولكن من بعض الأنهار(الوديان الكبيرة الدائمة الجريان طول السنة) ، حيث يقوم بعض اليهود الذين يسكنون في قرى بعيدة عن بلاد أرحب في اتجاه الشمال وفي أيام الشتاء، بالذهاب لكي يتم صيد الأسماك من الخارد[٢]، وهو نهر يخرج من بلاد أرحب ويصل إلى الجوف ويستقي منه أهلها، ولدى هؤلاء اليهود طريقة عجيبة في صيد السمك، إذ يجعلون لها جعل من الحبوب يسمى ضفر يجلب من بلاد آنس، وقيمته أغلى من البُرّ – القمح – وبعد طحنه يخلط مع قليل من الشعير، ومن ثم يتم عجينه مع بعض، ويتم وضعه في أوعية، ومن ثم يتم رميه للأسماك لتأكل منه حتى يحدث لها نوع من الصرع – الإغماء – ونتيجة لذلك ترتفع إلى أعلى الماء، وعندها يبادر الصيادون إلى العوم في الماء وأخذها بكل سهولة ويسر، وخاصة الصغيرة منها، أما الأسماك الكبيرة فتحاول أن تتفلت من الصادين وبصورة شديدة، حيث يفلت البعض والباقي يتم أخذه، وبعدها يقوم الصيادون بإخراج ما في بطون هذه الأسماك حتى لا تتغير ريحتها ومن ثم يبادرون بالسفر إلى صنعاء ليل نهار كي تصل وهي في حالة جيدة ليتم بيعها هناك،

١ – هاليفي، رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي(رحلة هاليفي)، ص١٤٧ .

٢ – الخارد وادي كبير أو نهر تتجمع مياهه من المناطق المحيطة بصنعاء وخاصة الجبلية منها مثل جبل النبي شعيب وكذلك سلسلة جبال ريعان التي تمتد نحو الشمال ويوجد في هذه المناطق جميعها الكثير من الغيول والوديان والتي تصب بعد ذلك في وادي ظهر، ومن جبال أخرى قريبة من صنعاء تتجمع مياهه إلى قرية عصر، ثم عبر أخدود يسمى السائلة تتدفق المياه إلى سائلة صنعاء وإلى شعوب، ثم إلى الرحبة خارج صنعاء، ثم إلى الخارد {جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص ١٣٣}، وقال الحجري : الخارد نهر مشهور يسقي أرض الجوف، والجوف يصل إليه أربعة أودية كبار منها وأولها الخارد ومساقيه من فروع مختلفة من شرق صنعاء وبلاد خولان وجبالها وكذا من جنوب صنعاء وجبالها وأوديتها إلى المناطق الممتدة حول صنعاء، ومن ثم المناطق الشمالية وجبالها وهكذا الكل يصل إلى وادي الخارد {الحجري، محمد بن أحمد(القاضي)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها،ج١، ص١٩٥، ٣٠٣، تحقيق: القاضي إسماعيل بن علي الاكوع، ط٤، ٢٠٠٤م، مكتبة الإرشاد، صنعاء }.

والأنهار المشهورة بالحوت ثلاثة وهي نهر الخارد ومنبعه بلاد أرحب، وسردد ومنبعه بلاد الحيمة، والثالث النبعة وأصله من بلاد الحدا، وأشهرها حوت الخارد، حيث يُعد ألذ وأطيب ما يكون وليس يُجلب إلى صنعاء إلا الخاردي فقط [١]، ومن هذه المناطق الشمالية أيضا تأتي تجارة الخوص(أوراق النخيل)، حيث تنقلها القوافل إلى صنعاء، ومنها يتم صنع المكانس[٢]، وفي صنعاء أيضا تنشط تجارة البن نظراً لاهتمام الأوربيين بها ومنهم تاجر إيطالي كان يقيم في صنعاء ويعمل في تجارة البن[٣]، الذي يتم نقله إلى الحديدة، ومن ثم تصديره إلى أوروبا .

ولعل من أهم السلع أيضا تجارة الكتب، كون صنعاء من المدن المشهورة بالعلم والعلماء، لذلك نجد أحد الرحالة يذكر أنه استفاد خلال إقامته في صنعاء وبصورة خاصة في شراء المخطوطات التي تُعد الأغلى ثمناً في الشرق[٤] .

وأما الصناعة فنجد أن الرحالة أيضا لم يدونوا عنها الشيء الكثير ولعل ذلك راجع إلى مدى إقامتهم بصنعاء واهتماماتهم، حيث والكثير منهم كان له اهتمامات علمية، ومما ذكره الرحالة في هذا المجال أن أكثر اليهود في صنعاء يعملون في صناعة الأحذية والحدادة والصياغة[٥]، وتوجد في صنعاء " مدرسة صناعية يتعلم فيها الفقراء اليمنيين بعض الصناعات اليدوية " [٦]، ولعلها كانت من إنشاء الأتراك، كما يقوم اليهود أيضا بصناعة أو صياغة الجواهر والذهب، وعليهم يعول أهل صنعاء في صناعة الزخارف الجصية في البيوت، وكذلك النوافذ الملونة من صنعهم، وفي سوق صنعاء أيضا يتم صناعة السيوف والسكاكين والحبال[٧] .

---

١ – هاليفي، رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي(رحلة هاليفي)، ص٤٦، ٤٧، ١٤٩ .

٢ – المرجع نفسه، ص٤٦ .

٣ – جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص١٣١، ١٣٢} .

٤ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن، ص١١٢ .

٥ – المرجع نفسه ، ص١٩٨ .

٦ – المرجع نفسه، ص٣٧١ .

٧ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٨، ٢٠٧.

وأما الأسواق في صنعاء فهي كثيرة، وهناك إشارات من قبل بعض الرحالة عن هذه الأسواق منها ما ذكره اولرش سيتزن الذي دخل صنعاء في العام ١٨١٠م حيث أوضح أنه كان يوجد في صنعاء مصلح ساعات وحيد قام بإصلاح ساعته لديه، غير أنه لم يستطيع ان يعيش بهذه المهنة، فكان إلى جانبها يبيع السمن، وسوق صنعاء الكبير يشكل الحي المركزي للمدينة، وهو على شكل أزقة ضيقة ومتعرجة تتشابك مع بعضها البعض، وفي هذا السوق يوجد كل أصحاب الحرف اليدوية، أو تجار البضاعة من الحرفة نفسها مثل النجارون والحدادون ، وهناك من يبيع المدائع وبائعي المصابيح والأواني المعدنية والعطارون(بائعو القهوة والبخور والعطور والتوابل)، وفي ساحة المركز يوجد سوق القمح، وفي ساحة أخرى بالقرب من باب اليمن يوجد سوق الأدوات المنزلية المصنوعة من الفخار، وبالقرب من ساحة أخرى يوجد سوق الخضار والفواكه، وفي اتجاه صرحة الطواشي يوجد سوق الخبز [١]، وكذلك سوق الإعشاب الخضراء الخاصة بالحيوانات(سوق العلف)، وهناك المسلخ(المجزرة) الوحيد في صنعاء – تقريباً– بالقرب من باب اليمن، هذا ولكل حرفة أو أصحاب تجارة معينة لهم شيخ يتبعونه، وفي سوق صنعاء توجد أيضا السماسر بكثرة، وهي عبارة عن مباني واسعة – ذات طوابق عديدة– ويتم فيها جميع الإعمال التجارية الكبيرة[٢]، وأما اليهود فلهم سوقهم الخاص في قاعهم المشهور بقاع اليهود، حيث يقومون بالصناعات التقليدية مثل صناعة النحاس، وصناعة الخناجر اليمنية(الجنبية) ،

١ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١١، مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٨ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٩٨، الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن بورخاردت)، ص٣٧٠ ، وقد حرصنا وحتى لا نطيل على أن يتم وصف صنعاء من خلال الرحالة أنفسهم حتى لا نخرج عن عنوان البحث، وإلا فهناك أسواق كثيرة لم تتم الإشارة إليها ومنها سوق البز، وسوق الحضرمي، وسوق الفضة، وسوق القشر، وسوق الملح الذي سمي سوق صنعاء بعد ذلك باسمه، وسق الحطب، وسوق الزبيب، وسوق الغنم، وسوق البقر والبهائم، وسوق الجمال، وسوق النحاس، وسوق الأحذية، وسوق الحب، وهناك من المؤرخين من يذكر سوق صنعاء الشمالي، حيث يحتمل أن صنعاء كان بها سوقان كبيران الشمالي والجنوبي وما بينهما المدينة،أما مشيخة السوق فشيخ كل حرفة أو تجارة يتابع أهل حرفته، ثم جميعهم يتبعون الشيخ الكبير شيخ السوق، الذي يقوم بمراقبة الجميع وحل المشكلات {مجهول، صفحات مجهولة من تاريخ اليمن وقانون صنعاء، ص١٨٨– ٢٠٤، ٢١٣، الحرازي، رياض الرياحين، ص١١٤، ١٥٥، ١٥٦ }.

ودباغة الجلود، والخياطة، كما تُكلّفهم الدولة بسك العملة، وكل هذه الصناعات يجيدونها بإتقان وحِرَفِيّةْ عالية[١] .

خامساً الحياة العلمية والدينية (المساجد – المخطوطات – المدارس)

كثيراً ما يشير الرحالة مانزوني إلى استقامة أهل صنعاء وارتباطهم بالدين في جميع شؤون حياتهم، وقد سبق ذكر ذلك عند الحديث عن الحياة اليومية، وأن صلواتهم لا تكون إلا في المساجد، وكذلك عند الحديث عن الأكل قبله وبعده، وكذلك عند الزواج ....الخ، حتى أنه يرجع سبب ذلك إلى ان اليمنيين مليئون بالأفكار الدينية[٢]، ومما ذكره أيضا أن أهل صنعاء يؤمنون بالجن، وأنهم قد يسببون الأذى للإنسان لان منهم الطيبون والأشرار[٣] ، كما يؤمن أهل صنعاء بالعين، ومن ثم يحذرون من الإصابة بها، ويتخذون في سبيل ذلك كافة الاحتياطات، حيث يرون أن العين والحسد في كل أمر يؤدي إلى أعجاب الآخرين بهم أو بما يملكونه أو يتصفون به، ومن ثم فأنهم لا يبالغون في الحديث عن الآخرين بإعجاب وإن حدث شيء من ذلك فلا بد من أتباعها بكلمة ما شاء الله، وإن أحد فعل ذلك دون أن يتبعها بالمباركة أو المشيئة الإلهية، فإن جليسه يشك في ان هذا الأخر يريد إصابته بالعين، عند ذلك يبادر إليه وعلى الفور قائلاً قل ما شاء الله تبارك الله، وعندها يجيب الآخر بذلك[٤] .

ومن أهم المعالم الدينية في صنعاء المساجد والتي تحظى باهتمام كبير من قبل الأهالي، ولا تتم الصلاة إلا فيها، ويذكر لنا بعض الرحالة أن كل مسجد يرأسه فقيه، ويأتي من فوقه مسئول أخر وهو الناظر، والذي من عمله متابعة وإدارة أموال وقف المسجد، وهناك الإمام الذي يقيم

---

١ –مجدي الصالح، رحلة الاسرار المدفونة، ص٣٨ .

٢ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٥٥–٢٥٧ .

٣ – المرجع نفسه، ص٢٧٦، ٢٧٧، وبما أنه ذكر إيمان أهل صنعاء بالجن فقد علق عليه بقوله أن ذلك من الخرافات الموجودة في صنعاء، ولم يفهم ان الإيمان بالجن عقيدة عند المسلمين، ولذلك فهو يقوم بإصدار هذه الأحكام بدون معرفة لهذه الحقائق .

٤ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٧٨ .

الصلوات الخمس في أوقاتها المحددة، وكذلك الخطيب الذي يقوم بإلقاء المواعظ، ثم هناك المؤذن الذي يؤذن للصلاة من على الصومعة(المأذنة)، وهذه الوظائف الدينية لا تحمل صفة الديمومة كما هو الحال عند الكهنة الكاثوليك، ولكن متى ما تم فصلهم من عملهم هذا من قبل الناظر، عندها يفقدون صفتهم الدينية كأئمة وخطباء، وأحياناً البعض من هؤلاء يكون له عمل أخر في بعض الحرف أو يقوم بالتدريس أو الذهاب للبيوت لقراءة القرآن، كون الراتب الذي يتقاضاه على إمامة المسجد لا يكفيه[١] .

وأما مساجد صنعاء فيبلغ عددها ثمانية وأربعون مسجداً بما في ذلك المسجد الوحيد الذي في القصر ويسمى المرادية، وأشهر هذه المساجد وأقدمها هو الجامع الكبير الذي يُعد من أكبر مساجد صنعاء، وموقعه في وسط المدينة القديمة[٢]، وما زال شكله حتى اليوم – سنة دخول مانزوني صنعاء– مستطيلاً طوله مائة متر، وعرضه ثمانين متراً، وجدرانه من الخارج مبنية من الحجارة، وكذلك أرضية المسجد مرصوفة بالحجارة، وللمسجد ثلاثة أورقة شرقي وغربي وجنوبي، مع مقدم المسجد الذي فيه المحراب، والمتجه شمالاً، ويتوسط هذه الأروقة فناء واسع، وسطه بناء يشبه الكعبة، طوله مع عرضه حوالي تسعة أمتار وارتفاعه عشرة أمتار، وفيه في الجهة الجنوبية باب صغير على مستوى أرضية الفناء، يدخل منه الداخل إلى حجرة بدون نوافذ، يتم فيها الاحتفاظ بأقدم نسخ القرآن الكريم[٣] .

---

١ – المرجع نفسه، ص٢٤٦ .

٢ – أورد مانزوني معلومات خاطئة حول تاريخ الجامع الكبير وأنه بني على أنقاض كنيسة القليس وذلك اثناء حديثه عن حملة أبرهة المذكورة في سورة الفيل وفشل الحملة، وفي الأخير نجد أنه خلط الحابل بالنابل عندما قال أن أولاد أبرهة تولوا الحكم، ثم جاء الإسلام وأصبحوا مسلمين على يد علي – علي بن أبي طالب– ثم يقول ومن ثم عادوا إلى عبادة الأصنام تحت حكم كسرى ملك الفرس، وهكذا فأن معبد صنعاء الذي هو الجامع الكبير خدم الديانة المسيحية ثم الإسلامية، ثم عبادة الأصنام، وأخيرا الديانة الإسلامية، {مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٤–١٧٨ }، وبغض النظر عن التخبط في الجانب التاريخي فإن الثابت أن مسجد صنعاء بني في بستان باذان حاكم صنعاء والذي تصدق بأرضيته لبناء الجامع وذلك بتوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم{ الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص١٤٠ } .

٣ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص١٧٨ ١٧٩ .

وأما المساجد الأخرى فهي أصغر بكثير، فالبعض منها له مأذنة عالية جداً، والبعض منها له مأذنة متوسطة، وبعضها بدون وهي الأصغر، من أشهر هذه المساجد مسجد البكيلية، الذي تم بناءه على الطراز العثماني، وكذلك مسجد الطواشي، ومسجد المدرسة وغيرها، وكلها مبنية بالحجارة، وأما القبب فهي مبنية من الأجر(الياجور)، ومطلية دائماً باللون الابيض، وكذلك الصوامع مبنية بالأجر، دون أن تطلى بأي لون[١] .

وأهل صنعاء من حيث المذهب الفقهي أو الديني معظمهم شيعة من الفرقة الزيدية، كما أن هناك وجود للصوفية، وقلة قليلة من الأمامية ألاثنى عشرية، وليس هناك ذكر لموضوع أوقاف المساجد سوى ما ذكره أحد الرحالة عند وصوله إلى صنعاء مروراً بجبل عصر غرب صنعاء، حيث قال " وقرية عصر الواقعة عند أقدام الجبل هي قرية وقف، أوقفها أهلها منذ مئات السنين للجامع الكبير في صنعاء " [٢]، وأما اليهود في حيهم أو مدينتهم(قاع اليهود) فلهم معابدهم والذي يبلغ عددها أربعة معابد كبيرة، وسبعة عشر معبداً صغيراً، ولعل هذا العدد غير مبالغ فيه، إذا ما قورن بعدد منازلهم وعدد سكانهم والبالغ على قول بعض الرحالة سبعة ألاف، وقول البعض الأخر إلى عشرة ألاف نسمة[٣] .

أما الحياة العلمية والثقافية في صنعاء خلال هذا القرن، فقد شهدت بزوغ نجم كثير من العلماء، الذين كانت لهم حلقات علمية في كثير من المساجد، وكان لهم الكثير من المؤلفات، على رأس هؤلاء شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، غير أن الرحالة لم يكونوا يهتمون بتدوين ذلك، وإنما كان جلّ همهم جانب علمي آخر – وهو مهم – والذي من خلاله يمكنهم كشف ومعرفة أسرار هذا البلد وتراثه الحضاري، سواء كان القديم أو الإسلامي، وقد تمثل ذلك في سعيهم الحثيث لشراء المخطوطات المهمة، والعثور على النقوش المسندية المهمة، والتي لم

١ – المرجع نفسه، ص١٧٨– ١٨٢ .

٢ –جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ١٣٠، ١٣٤ .

٣ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة هرمن بورخاردت ، ص٣٧١ ، مجدي الصالح، رحلة الأسرار المدفونة، ص٣٨ .

يكن عامة الأهالي في صنعاء أو خارجها يعلمون قيمتها ولأ أهميتها، وما تمثله من إرث حضاري أصيل، ولما كانت هذه المخطوطات وخاصة القديمة منها تمثل قيمة علمية كبيرة، فقد سعى هؤلاء إلى الحصول عليها والبحث عنها بشتى الوسائل الممكنة، فهذا اولرش سيتزن الذي وصل إلى صنعاء في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، يذكر أنه أشترى من صنعاء مخطوطات تُعد من أهم وأثمن المخطوطات الشرقية[١]، وهذا هاليفي عند وصوله صنعاء كان مريضاً جداً، ولم يكن له من هم إلا الحصول على المخطوطات والنقوش الحميرية، وذهب للبحث عنها في كلً من جبل نقم، وبقايا قصر غمدان، وفي حصن بيت بوس غرب صنعاء، ولما لم يجد شيئاً من ذلك، يمم وجهه نحو المناطق الشرقية والشمالية، مروراً ببلاد أرحب، ووصولاً إلى الجوف ومأرب، وهناك وجد مبتغاه، حيث بلغ حصيلة ما نسخه من النقوش من كل هذه المناطق وغيرها ستمائة وستة وخمسين نقشاً[٢]، ومن بعد هاليفي جاء أدوارد جلازر الذي مكث في صنعاء لمدة، ثم انطلق في نفس الاتجاه، ومروراً بقبائل أرحب وحاشد، وكان حصيلته من النقوش مائتين وستة وسبعون نقشاً حميرياً، وكذلك بعض المخطوطات ومنها امتلاكه لمخطوطة قديمة جداً تحتوي على معلومات مهمة عن اليهود وعلاقتهم بالقبائل العربية المختلفة التي كانوا يسكنون معها قبل ظهور الإسلام[٣]، ومن الرحالة الذين أبدوا اهتمام بالجوانب العلمية مانزوني الذي تحدث باستفاضة عن النساء في صنعاء، وكل ما يتعلق بهن، وذكر في الأخير أنهن لا يحصلن على أي تعليم، فلا يجدن القراءة ولا الكتابة، وبالمقابل وللأسف لم يذكر شيئاً عن تعليم الأولاد ولا الشباب، ولا مدارسهم، ولا عن الحلقات العلمية التي كانت تقام في مساجد

١ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة(رحلة اولرش سيتزن)، ص١١٢ .

٢ – هاليفي، رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي(رحلة هاليفي)، ص١٤٥–١٦٥ ، الصايدي، اليمن في عيون الرحالة، ص٩، ١٥٢، وقد عمل هاليفي ملحق في أخر تقريره يوضح فيه تصنيف النقوش التي جمعها طبقاً للمناطق التي وجدها بها، وكذلك عددها وهذا الملحق موجود في أخر كتابه من ص٧٥–٧٩ .

٣ –جلازر، رحلات ادوارد جلازر، ص ٦٢، ١٣٠، ١٣١ .

صنعاء، ولم يذكر لنا سوى بعض علماء صنعاء الذين استقبلوا الوالي العثماني حين دخوله صنعاء، كما تحدث عن نفسه وتعلمه اللغة العربية لدى القاضي حسين القلاضي الناظر على مسجد المتوكل، والذي وصفه بأنه رجلاً قدير وغير متعصب، وأنه كان مسروراً لتعليمه اللغة العربية، وتفسير القرآن، وأشياء أخرى كثيرة عن حياة العرب[١]، ومما لا شك فيه أن صنعاء كان فيها الكثير من المدارس، فهذا الرحالة شابيرا يذكر ان لليهود في مدينتهم أربعة وعشرين مدرسة[٢]، ومن ثم فإن مدارس اليمنيين بصنعاء لا بد وأن تكون اضعافاً مضاعفة من مدارس اليهود، ومما يدل على ذلك ما ذكره الرحالة الألماني هرمن بور خاردت عند حديثه عن صنعاء وإن بها مسكن الوالي ومعظم المدارس، والمساجد الكبيرة، كما أوضح أن بصنعاء مؤسسات عامة وهي مدرسة عسكرية، ومدرسة مدنية، ومدرسة صناعية، وعن الجانب الثقافي ذكر أن بصنعاء مطبعة تصدر عنها صحيفة صنعاء باللغتين العربية والتركية[٣] .

الخاتمة:

١- وختاماً ومن خلال تتبع هؤلاء الرحالة ومشاهداتهم وما رافق ذلك من أحداث سياسية، يمكننا التوصل إلى بعض النتائج وذلك على النحو التالي :

٢- شهدت صنعاء خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري استقراراً ملحوضاً حيث نعمت بالهدوء مما نتج عن ذلك ازدهار حضاري في بعض الجوانب، تمثل في بناء القصور والدور .

٣- شهدت صنعاء أيضا خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وحتى دخول العثمانيين اضطرابا سياسيا تمثل في ذلك الصراع المرير بين الأئمة من اجل السلطة، نتج عنه تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية .

---

١ – مانزوني، رحلة إلى صنعاء، ص٢٣٠، ٢٣١، ٢٦٥، ٢٠٢ .

٢ – الصايدي، اليمن في عيون الرحالة نقلاً عن رحلة شابيرا ، ص١٩٣، ١٩٤ .

٣ – المرجع نفسه، ص٣٧٠، ٣٧١ .

٤- أتضح من خلال مشاهدات الرحالة وكتاباتهم أن مدينة صنعاء وما حولها في تلك المدة، كانت جنة من جنان الدنيا، حيث يغطيها وما حولها الغابات والحدائق والبساتين والحقول الزراعية، وما يوجد بها من حيوانات برية مختلفة، وهذا للأسف لم يعد يوجد منه شيء في الوقت الحاضر سوى القليل النادر.

٥- تبين أن ذلك الإطراب السياسي لم يكن له أي تأثير سلبي على الحياة الاجتماعية بصنعاء حيث ظل أهلها محافظين على الأعراف والتقاليد، وتعاليم الشريعة الإسلامية في جميع شؤون حياتهم.

٦- استمرت صنعاء العاصمة السياسية لليمن طوال مدة القرن الثالث عشر الهجري .

٧- أتضح أن مدينة صنعاء وما حولها في تلك المدة كانت مركزاً تجارياً مهماً يقصدها أصحاب رؤوس الأموال من كل مكان .

٨- تبين ان صنعاء وما حولها كانت لا تزال بكراً في الدراسات الأثرية والنقوش المسندية .

٩- كان لليهود دور مهم في الحياة الاقتصادية بصنعاء وكانوا يعيشون في مدينتهم بسلام .

المصادر والمراجع:

١- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد عبد الله الطنجي(ت: ٧٧٩هـ)

- رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب الامصار وعجائب الإسفار، تحقيق: الشيخ عبد المنعم العريان، ط١، ١٩٨٧م، دار صادر، بيروت، لبنان .

٢- توركيل هانس

- من كوبنهاجن إلى صنعاء،، ترجمة: محمد أحمد الرعدي، ط٢، ٢٠١٦م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار العودة، بيروت، لبنان .

٣- جلازر، أدوارد

- رحلات ادوار جلازر إلى اليمن، ترجمة: أحمد قائد الصايدي، ط٢، ٢٠٢٢م، دون(دار) .

٤- الحرازي، محمد بن أحمد

- رياض الرياحين في أنباء الأولين، السفر الثاني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ط١، ١٩٨٦، دار الفكر، بيروت، لبنان .

٥-الحداد، محمد يحيى

- التاريخ العام لليمن، ط١، ١٩٨٦، دار التنوير، بيروت، لبنان.

٦- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان د.ت .

٧- الحيمي، محمد بن لطف الباري اليمني

- الروض الباسم في ما شاع في قطر اليمن من الوقائع والأعلام، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٠م، مطابع المفضل للاوفست

٨- ابن خرداذابة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله(ت: ٢٨٠هـ)

- المسالك والممالك، ليدن، بريل، ١٨٨٩م، دار صادر، بيروت، لبنان.

٩- ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن علي بن محمد(ت:٩٤٤هـ)

- نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية، تحقيق: أحمد راتب عموش، ط١، ١٩٩٢م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

١٠- الرازي، أبو العباس أحمد بن عبد الله(ت: ٤٦٠هـ)

- ،تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ط٢، ١٩٨٩، دار الفكر، دمشق.

ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر(ت: نحو ٣٠٠هـ)

- الاعلاق النفيسة، ليدن، نشد دي غوي، ١٨٩٣م .

١١- زبارة، محمد بن أحمد

– نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر الهجري، مركز البحوث والدراسات اليمني، دار العودة، بيروت، لبنان، د. ت .

١٢– الشوكاني، شيخ الإسلام محمد بن علي(ت: ١٢٥٠هـ)

– البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: حسين عبد الله العمري، ط١، ١٩٩٨م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

١٣– الشهاري، علي بن عبد الله بن القاسم(ت: بعد ١١٧٦هـ)

= وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الجليلة، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩٣، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء .

١٤– الصايدي، أحمد قائد(الدكتور)

– المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ط١، ١٩٩٠م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

– اليمن في عيون الرحالة الأجانب، ط١، ٢٠١١م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء .

١٥– الصفواني، رياض محمد

– مواقف العلماء اليمنيين من سياسة أئمة الدولة القاسمية، دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر، د.ت .

١٦– العمري، حسين عبد الله

– تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل على الله إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين، ط٢، ٢٠٠١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان .

١٧– الكبسي، محمد بن إسماعيل

– اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٠م .

١٨– لاروك، جان دي

– أول رحلة فرنسية إلى العربية السعيدة(١٧٠٨– ١٧١٠م و ١٧١١–١٧١٣م) ، ترجمة: منير عربش، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م .

٢٠– ابن المجاور، أبو الفرج نجم الدين يوسف بن يعقوب(٦٩٠هـ)

– صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، مراجعة وتحقيق: ممدوح حسن محمد، ١٩٩٦م، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة. .

٢١– مانزوني رينزو

– اليمن رحلة إلى صنعاء، ١٨٧٧– ١٨٧٨م، ، ترجمة : ماسيمو خير الله، ط١، ٢٠١١م، الصندوق الاجتماعي للتنمية صنعاء .

٢٢– مجدي الصالح

– رحلة الأسرار المدفونة، ط١، ٢٠١٩، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، برلين ألمانيا .

٢٣– مجهول

– حوليات يمانية، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ط١، ١٩٩١م، دار الحكمة اليمانية، صنعاء

٢٤– مجهول

– صفحات مجهولة من تاريخ اليمن وقانون صنعاء، تحقيق القاضي: حسين أحمد السياغي، ط٢، ٢٠٠٨م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء .

٢٥– مجهول

– كتاب في رحالات الغربيين إلى بلاد اليمن(دراسات ومختارات)، جمع وتحقيق: أ.د حميد العواضي، ود عبد الغني الحاجي، ترجمة: منير عربش، ط١، ٢٠٢٢م، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم، صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء .

٢٦– هاليفي، جوزيف

– رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، (رؤيا اليمن حييم حبشوش، ترجمة : سامية نعيم صنبر) (تقرير حول بعثة أثرية إلى اليمن قدمه جوزيف هاليفي)، ترجمة : منير عربش، ط١، ١٩٩٢م، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ..

٢٧– الواسعي، عبد الواسع بن يحيى

– تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط٢، ١٩٩١م، مكتبة اليمن الكبرى .

جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY